

القرآن الكريم والدروس الدينية

الجزء الثاني

لتلاميذ وتلميذات السنة الثانية
بالمدارس الوسطى

تأليف

شعبة الدراسات الإسلامية

بمعهد التربية ببخت الرضا



وزارة المعارف السودانية

النمرة المتسلسلة : وم/٧

الطبعة الأولى

١٩٥٨

الطابعون : دار المعارف بمصر

فهرس الموضوعات

صفحة

٩

الإهداء

١ — دروس فى التفسير

١٣	سورة المجادلة
١٦	مقتطفات من معانى سورة المجادلة
٢٠	سورة الحشر
٢٣	مقتطفات من معانى سورة الحشر
٣٠	سورة الممتحنة
٣٣	مقتطفات من معانى سورة الممتحنة
٤٠	سورة الصف
٤٢	مقتطفات من معانى سورة الصف
٤٥	وحدانية الله « سورة المؤمنون »
٤٩	من مشاهد القيامة « سورة الزمر »
٥٢	طوائف إلى النار وأخرى إلى الجنة « سورة الزمر »
٥٨	نعم الله على العباد « سورة النحل »
٦٤	الأخذ بالثأر « سورة النحل »
٦٨	خمس لا يعلمها إلا الله « سورة لقمان »
٧٣	من صفات الرسول « سورة التوبة »
٧٧	تجارة رابحة « سورة التوبة »
٨١	من الأخلاق الإسلامية
٨٢	سبحان الذى سخر لنا هذا « سورة الزخرف »
٨٩	صنع ربى « نشيد »
٩٠	الساعة آتية « سورة سبأ »

٢ — من الهدى النبوى

صفحة		
٩٥	: مأدبة الله	الحديث الأول
٩٩	: الأسوة الحسنة	» الثانى
١٠٢	: الحلف الفاجر	» الثالث
١٠٤	: عاقبة الإنفاق	» الرابع
١٠٨	: لك من مالك ثلاث	» الخامس
١١١	: الحلم سيد الأخلاق	» السادس
١١٧	: إكرام الضيف والجار	» السابع
١٢٢	: من تحل له الصدقة	» الثامن
١٢٦	: أعمال لا ينقطع ثوابها	» التاسع
١٣٠	: الدين النصيحة	» العاشر
١٣٤	: كن عوناً لأخيك	» الحادى عشر
١٣٤	: سؤال وجواب	» الثانى عشر
١٣٦	: رفقا بالقوارير	» الثالث عشر
١٣٦	: إن الله لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية	» الرابع عشر
١٣٨	: مسئولية الجماعة عن الفرد	» الخامس عشر
١٣٨	: فضيلة العمل	» السادس عشر
١٣٩		رعاية البيت
١٤١		كرم ومروءة
١٤٣		الدعاء والاستغفار

٣ - دروس في العبادات

صفحة

١٤٩	.	.	.	.	.	صفات الماء :	الدرس الأول
١٥١	.	.	.	.	.	النظافة في الإسلام :	» الثاني
١٥٣	.	.	.	.	.	ما قرر الشرع طهارته :	» الثالث
١٥٥	.	.	.	.	.	آداب إسلامية :	» الرابع
١٥٧	.	.	.	.	.	سهولة ويسر :	» الخامس
١٥٩	.	.	.	.	.	مشروعية الصلاة :	» السادس
١٦١	.	.	.	.	.	فرائض الصلاة :	» السابع
١٦٣	.	.	.	.	.	سنن الصلاة :	» الثامن
١٦٥	.	.	.	.	.	الصلاة على الميت :	» التاسع
١٦٩	.	.	.	.	.	مواضع النهي عن الصلاة :	» العاشر
١٧١	.	.	.	.	.	أيها البيت :	نشيد ديني
١٧٣	.	.	.	.	.	صلاة السفر :	الدرس الحادي عشر
١٧٦	.	.	.	.	.	نحن إخوة :	نشيد عربي

٤ - شخصيات إسلامية

١٨١	.	.	.	.	.	.	حمزة بن عبد المطلب
١٨٨	.	.	.	.	.	.	أسامة بن زيد
١٩٥	.	.	.	.	.	.	أبو دجانة
١٩٩	.	.	.	.	.	.	الزرقاء بنت عدى
٢٠٢	.	.	.	.	.	.	أم زياد الأشجعية
٢٠٣	.	.	.	.	.	.	فاطمة الزهراء
٢٠٩	.	.	.	.	.	.	قصة مهاجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ
عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى
آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ
فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

الإهداء

إِلَى تَلْمِيذٍ وَتَلْمِيذَةٍ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ
بِالْمَدَارِسِ الْوُسْطَى

سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكُمَا ، وَبَعْدُ :

فَهَا نَحْنُ أَوْلَاءُ نُقَدِّمُ لَكُمَا الْبَاقَةَ الثَّانِيَةَ مِنْ كِتَابِ
« الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالدُّرُوسِ الدِّينِيَّةِ » الَّتِي أَعَدَدْنَاهُ مِنْ
أَجْلِكُمَا . وَإِنَّا إِذْ نُقَدِّمُهُ لَكُمَا ، نَأْمُلُ أَنْ تَكُونَا قَدْ
اسْتَوْعَبْتُمَا جَيِّدًا مَا عَرْضْنَاهُ عَلَيْكُمَا فِي الْكِتَابِ الْأَوَّلِ ،
لِيَكْمَلَ لَكُمَا بِدِرَاسَةِ هَذَا الْكِتَابِ « حِفْظُ الْأَجْزَاءِ الثَّلَاثَةِ
الْأَخِيرَةِ » مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ؛ هَذَا بِالإِضَافَةِ إِلَى إِمَامِكُمَا
بِالكَثِيرِ مِنْ وَاجِبَاتِكُمَا الدِّينِيَّةِ ، مُسْتَقَاةً مِنْ أَعْظَمِ مَصْدَرَيْنِ :
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ . وَغَرَضُنَا مِنْ ذَلِكَ أَنْ

تَنْشَأَ خَيْرَ نَشْأَةٍ ، وَأَنْ تَكُونَا مِثَالًا رَاقِيًا فِي التَّهْدِيدِ ،
وَحُسْنِ السَّيرَةِ .

وَفَقَّكُمَا اللَّهُ لِمَا فِيهِ الْخَيْرُ ، وَنَفَعَ بِكُمَا الْبِلَادَ .

محمد الطيب محمد حامد و عبد القادر الشيخ إدريس

و

قطبي سالم محمد

الدويم : معهد التربية ببخت الرضا

٣ ربيع الثاني سنة ١٣٧٧ هـ

٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٧ م

(١)

دروس فى التفسير

سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ

مدنية ، وهي اثنان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي
إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١)
الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ
أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ
وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ
نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَتَمَاسَا ذَلِكَ كُمْ تُوَعِّظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ
لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ
لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤) إِنَّ الَّذِينَ
يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (٥)

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ
وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ
إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ
ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا
عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) أَلَمْ تَرَ
إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ
بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ
يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا
نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٨) يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ
الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ
فَلْتَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ
تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ

اَنْشُرُوا فَاَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِيْنَ
 اٰتَوْا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١) يَا أَيُّهَا
 الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ
 صَدَقَةٌ ذٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَاَطْهَرُ فَاِنْ لَمْ تَجِدُوْا فَاِنَّ اللهَ غَفُوْرٌ
 رَّحِيْمٌ (١٢) اَّاْشْفَقْتُمْ اَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ
 صَدَقَاتٍ فَاِذْ لَمْ تَفْعَلُوْا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَاَقِيْمُوا الصَّلَاةَ
 وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاَطِيعُوا اللهَ وَرَسُوْلَهُ وَاللهُ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣)
 اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِيْنَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ
 مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُوْنَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُوْنَ (١٤)
 اَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيْدًا اِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ (١٥)
 اِتَّخَذُوْا اٰيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوْا عَنْ سَبِيْلِ اللهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ
 مُّهِينٌ (١٦) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ اَمْوَالُهُمْ وَلَا اَوْلَادُهُمْ مِنْ اللهِ
 شَيْئًا اُولٰٓئِكَ اَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَ (١٧) يَوْمَ
 يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيْعًا فَيَحْلِفُوْنَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُوْنَ لَكُمْ
 وَيَحْسَبُوْنَ اَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ اَلَا اِنَّهُمْ هُمُ الْكََاذِبُوْنَ (١٨)
 اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَاَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ اُولٰٓئِكَ حِزْبُ

الشَّيْطَانِ إِلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) إِنَّ
 الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ
 اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١) لَا تَجِدُ
 قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ
 أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ
 وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ
 اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢) .

مُقْتَضَفَاتٌ مِنْ مَعَانِي سُورَةِ الْمُجَادَلَةِ

(١) كَانَ الْعَرَبِيُّ فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ إِذَا غَضِبَ عَلَى أَمْرَأَتِهِ ، قَالَ لَهَا :
 « أَنْتِ عَلَى كَظْهَرِ أُمِّي » ، يَرِيدُ بِذَلِكَ أَلَّا يَتَّخِذَهَا لَه زَوْجَةً .

وَنَزَلَ أَوَّلُ سُورَةِ الْمُجَادَلَةِ فِي شَأْنِ « خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ » الزَّوْجَةِ الَّتِي
 شَكَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ (ص) زَوْجَهَا « أَوْسَ بْنَ الصَّامِتِ » الَّذِي
 ظَاهَرَ مِنْهَا ، أَيْ قَالَ لَهَا : « أَنْتِ عَلَى كَظْهَرِ أُمِّي » فَنَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ

تعالى : « قد سَمِعَ اللهُ قولَ التي تجادِلُك في زوجها وتشتكى إلى الله ... الآيات ... »

واستجابَ اللهُ دعاءَ المرأةِ فوضعَ حلاً لِمَشْكِلَتِهَا ...
فالمُظَاهِرُ من زوجِته ، عليه أن يعودَ إليها بعدَ أن يكفِّرَ .
والكفارةُ ثلاثةُ أنواعٍ :

(١) تحريرُ رَقَبَةٍ : ومعنى ذلك أن يعتقَ الشَّخصُ واحداً من عبيده :
ذكراً كان أم أنثى .

(٢) صيامُ شهرَينِ متتابعين .

(٣) إطعامُ ستِّينَ مسكيناً ، صاع^(١) لكل مسكين .
هذه حدودُ اللهِ وتلك أحكامُهُ ، فعليكم أن تتبَّعوها وتعملوا بمقتضاها .

(٢) كان اليهود والمنافقون يؤذونَ المؤمنين سرّاً ، فيتغامزونَ بأعينِهِمْ ،
ويحرِّكونَ شفاهَهُمْ بكلامٍ غيرِ واضح ، استهزاءً وسُخْرِيَةً ، ولم يكتفوا
بذلك ، بل كانوا إذا مرُّوا بالنبيِّ يَحْيُونَهُ فيقولون :
السَّامُ عليك يا محمدُ ! ومعنى السَّام : الموت .

أدبُ عالٍ :

وذاتَ مرةٍ رَدَّتِ السَّيِّدَةُ عائِشةُ رضى اللهُ عنها على المنافقينَ مَقَالَتَهُمْ : بل
عليكم السَّامُ واللعنةُ ! فلم يَرْضَ النبيُّ أن ينطلقَ لِسَانُهَا بِمِثْلِ هذه الكلماتِ مع

(١) الصاع : أربعة أمداد . والمد : مئة اليدين المتوسطتين .

الأعداء وقال لها : مَهْلًا يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ يَكْرَهُ فَاخِشَ الْكَلَامَ ! بل قُولِي لَهُمْ
مِثْلَ مَا قُلْتُ : « عَلَيْكُمْ » واسكُتِي .

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِالصَّبْرِ عَمَّا يَنَالُهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وهذه
هِيَ التَّرِيبَةُ الصَّحِيحَةُ ، وَالْأَخْلَاقُ السَّمِيحَةُ الْعَالِيَةُ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَدَّبَ بِهَا
كُلُّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ ، وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ حَتَّى يَنْشَأَ الْوَاحِدُ عَفَّ الْأَسَانِ ،
كَرِيمِ النَّفْسِ .

وَقَدْ نَزَلَتِ الْآيَاتُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ ، مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ » الْآيَاتُ .
هَذِهِ الْآيَاتُ تَعْلَمُ الْمُؤْمِنِينَ الْوَاجِبَاتِ الْآتِيَةِ :

- (١) أَنْ اللَّهَ يَعْلَمُ السِّرَّ وَالْجَهَرَ .
- (٢) يَحْرُمُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَنَاجِيَ غَيْرَهُ بِالْمَعْصِيَةِ وَالشَّرِّ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمُنَاجَاةَ
يَجِبُ أَنْ تَكُونَ دَائِمًا فِي فِعْلِ الْخَيْرَاتِ .
- (٣) مَا يُبَلِّغُنِي بِهِ الشَّيْطَانُ مِنْ وَسْوَسةٍ فِي نُفُوسِ الْمُنَافِقِينَ لَا يَضُرُّ الْمُؤْمِنِينَ
فِي شَيْءٍ .

(٤) يَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَوَكَّلُوا فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ عَلَى اللَّهِ — فَالْنَّفْعُ بِيَدِهِ
وَحُدَّهُ تَعَالَى وَالضَّرُّ بِيَدِهِ كَذَلِكَ .

(٥) مِنْ أَسْبَابِ الْمَوَدَّةِ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ يَفْسَحُوا لغيرِهِمْ فِي الْمَجَالِسِ ، وَأَنْ
يُوسِّعَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَتْنًا وَأَوْ حَاجَةً غَيْرِهِمْ لِذَلِكَ — فِي أَمْكِنَةِ الصَّلَاةِ

وفي مقاعد الترام والبصات وداخل عربات القطار ، فليس من حق المسلم أن يحتل المسكان وحده ، ويضيّق على أخيه ، أو يمنعه من الجلوس معه في هذه المراكبات العامة .

(٦) وإذا طلب من الواحد أن يقوم من مقامه لمن هو أكبر منه سناً ، أو من هو في حاجة إلى ذلك كالمرأة والمريض ، فليجِب هذا الطلب من غير أن يظهر استياء أو تضجراً !

(٧) والمؤمنون الذين يمثلون هذه الأوامر ، ويطبّقونها في حياتهم هم أسعدُ الناس وأحقّهم برحمة الله وفضله وسيُدخلهم الله يوم القيامة عُرف الجنان جزاءً وفاقاً !

سُورَةُ الْحَشْرِ

مدنية ، وهي أربع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا
وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ
حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ
بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي
الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ
فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى
أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ
عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ

وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ (٦) مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
وَلِلَّذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كُنْ
لَا يَكُونِ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ
وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧)
لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ
الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ
مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ
عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ
يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ
وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ
رَحِيمٌ (١٠) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ
مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ

وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ
 مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَنَّ
 الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١٢) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ
 مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ
 جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ
 شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
 لَا يَعْقِلُونَ (١٤) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا
 وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ
 قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي
 أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي
 النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧) يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا
 اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
 نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩)
 لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
 هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ

خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ
الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣)
هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) .

مُقْتَطَفَاتٌ مِنْ مَعَانِي سُورَةِ الْحَشْرِ

قِصَّةُ بَنِي النَّضِيرِ

(١)

قال أبو براء عامر بن مالك « ملاعبُ الأُسنة » :

يا مُحَمَّد ! لو بَعِثْتَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَى أَهْلِ نَجْدٍ لِيَدْعُوهُمْ إِلَى هَذَا الدِّينِ

الَّذِي تَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ ! !

قال الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَام :

إِنِّي لَأَخْشَى أَنْ يُصِيبَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ مَا أَصَابَهُمْ حِينَما غَدَرْتُ هَذِيلُ بِهِمْ

فَقَتَلُوا خُبَيْبًا وَأَصْحَابَهُ ! !

(*) قوم من اليهود ، كانوا يقيمون قريباً من المدينة ، على مسافة ميلين منها ، لهم نخيل وأشجار كثيرة .

قال أبو براء :

إني أعدك أن يكونوا في جوارى حتى يعودوا إلى بلادهم !

وكان أبو براء رجلاً مسموع الكلمة في قومه مكاباً فيهم .

وحدث ما توقعه النبي ، فقد قتل أصحابه برغم حماية أبي براء .

ولم ينبج من رجال النبي الأربعين إلا رجلان : أحدهما « كعب بن زيد »

الذي عاش ولحق بعد ذلك بالمدينة .

وثانيهما : « عمرو بن أمية الضمري » الذي وقع أسيراً في قبضة الأعداء ،

ثم أطلقه رئيسهم « عامر بن الطقيّل » بعد أن جزّ ناصيته وأعتقه في رقبة

ادّعى أنها كانت على أمه . وانطلق عمرو إلى المدينة

قال أحدُهم : من أين أقبلت يا عمرو ؟ وما هذا الاضطراب الذي يبذو

عليك ؟ يُخيلُ إليّ أنك أتيت أمراً عظيماً ؟ !

قال عمرو : أجل ! لقد صادفتُ في طريقى إلى المدينة رجلين من بني عامر

فقتلتُهما ، ورويتُ بدمهما الثرى ! وحسبتُ أنى بذلك شفيتُ غيظي مما أصاب

أصحابي يوم « بئر معونة » .

قال الرجل : يا قبح ما صنعت ! لقد فعلتَ شراً من حيث أردتَ الخير ،

وركبتَ حراماً من حيث أردتَ أن تأخذَ بثأر أصحابك !

ذاتك العامريّان اللذان قتلتهما إنهما إلا رجلانِ معهما من رسولِ الله

عهدٌ وجوارٍ ، وهما من قبيلة أبي براء الذي حاكم يوم بئر معونة ما وسعته

الحماية ! ولم ينلکم من قومه سوء ، ولكن ما أصابکم يومَ ذاكَ كان من غيرِ قومه ! أنطلقْ إلى رسولِ الله تَجِدْ عنده الخبرَ اليقین !

وأدرک عمرو أنه أخطأ فَمَا فَعَلَ ، وأقبل على رسولِ الله یَحْدِثُهُ .

قال عمرو : یا رسولَ الله ! لقد شَفِيتُ غَیْظِي ، وأطفأتُ نارَ حِقْدِي اليومَ !

قال الرسول : وماذا فعلتَ یا عمرو ؟

قال عمرو : لقد قَتَلْتُ العامريَّین اللّذين صادفانی فی طَرِيقی إلى المَدینة ، وحَسِبْتُ أَنِّي أَصَبْتُ فیهما من بَنی عامرٍ ثأراً .

وتَغَيَّرَ وَجْهُ الرسول من الحُزْن ، وغَشِيتُ عَينَیهِ سَحَابَةٌ من الهمِّ ،

ثم قال :

لقد قتلْتَ قَتِيلَینَ عَلَینَا أَن تُؤدِّيَ دِیَنَهُمَا^(١) إلى أهلِهما ! !

(٢)

وخرَجَ رسولُ الله (ص) فی جماعة من أصحابه — فیهم أبو بکر وعمرُ وعُلیٌّ رضی الله عنہم — إلى حیثُ یُقیمُ بنو النَّضیر ، یَطْلُبُ منهم أن یُعینُوهُ على دِیة الرجلین ، حسبًا تمَّ من اتفاق بین الرسول و بینہم .

قال حُیُّ بنُ أخطَب ، زعيمُ بنی النَّضیر :

ذاكَ محمدٌ مقبلٌ عَلَینَا ! ولأمرٍ ما قَدِمَ ، ولأمرٍ ما وَطِئَتْ قَدَمَاهُ هذه الدِّیَار !

انہضُوا لِلِقَائِهِ !

(١) الدِیة : ما یدفعه القتاتل لأهلِ المقتول من مالٍ أو غیره .

وَنَهَضَ الْقَوْمُ جَمِيعًا ، وَاسْتَقْبَلُوهُ هَاشِينَ بِاشِّينَ .

قَالَ حُيَيٌّ : خَيْرٌ مَا جَاءَ بِكَ يَا مُحَمَّدُ ! أَهْلًا وَمَرْحَبًا بِكُمْ !

قَالَ الرَّسُولُ : لَقَدْ قَتَلْتُ أَحَدَ الْمَسَامِينِ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ ، وَكَانَ فِي ظَنِّهِ
أَنَّهُمَا عَدُوَّانِ الْمَسَامِينِ ، وَلَكِنَّهُمَا مِنْ قَوْمٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ عَهْدٌ وَذِمَّةٌ ، وَقَدْ
جِئْنَاكُمْ نَسْتَعِينُكُمْ بِكُمْ فِي دَفْعِ دِيَةِ هَذَيْنِ الْقَتِيلَيْنِ ، بَمَا بَيْنَنَا مِنْ حَافٍ وَعَهْدٍ .
قَالَ حُيَيٌّ : سَنُجِيبُكَ إِلَى مَا أَرَدْتَ يَا مُحَمَّدُ ! اسْتَرِحْ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ ،
حَتَّى نَجْمَعَ لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا تُرِيدُ !! ...

وَجَلَسَ الرَّسُولُ ، وَجَلَسَ أَصْحَابُهُ فِي انْتِظَارِ مَا يَعُودُ بِهِ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ
رَئِيسُ الْقَوْمِ .

وَرَأَى الْقَوْمُ قَلَّةَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ، فَفَكَّرُوا أَنِ يَغْدِرُوا بِهِمْ فَيَقْتُلُوهُ وَيَقْتُلُوا
مَعَهُ أَصْحَابَهُ .

وَتَقَدَّمَ عَمْرُو بْنُ جِحَاشٍ — يَحْمِلُ بَيْنَ يَدَيْهِ صَخْرَةً عَظِيمَةً ، يُرِيدُ أَنْ
يَرْضَخَ بِهَا رَأْسَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَتَسْلُقَ الْجِدَارَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَجْلِسُ فِيهِ
الرَّسُولُ ، وَلَكِنَّهُ حِينَما نَظَرَ فِيهِ لَمْ يَجِدْهُ ، فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ بِالْإِنْصِرَافِ فَعَادَ
إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَلَحِقَ بِهِ أَصْحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ . وَخَذَلَ اللَّهُ كَيْدَ الْكَافِرِينَ .

وأعلن الرسول لقومه في المدينة أن بني النضير قد نكثوا العهد ، وأنهم أرادوا أن ينالوه وأصحابه بشر ، فلفظ الله بهم بعد أن كشف أمر المشركين لهم ، وليس على المسلمين ذنب في قتالهم ، فلم يعد لهم أمان بعد هذه الفعلة ، وانتقض بذلك العهد الذي كان بين الفريقين .

قال محمد بن سلمة ، وقد حمل رسالة النبي إلى بني النضير :

يا بني النضير قد علمنا مكركم وغدركم ، وأطلع الله رسوله على المؤامرة الدنيئة التي كشفت عن خبث نياتكم وسوء أفعالكم . فارحلوا عن هذه الديار ، إذ لا بقاء لكم بيننا بعد اليوم ، وإن تأمنكم على رجالنا . أخرجوا سالمين بأنفسكم .

وأحسن بنو النضير حرج الموقف ، وبدأوا يفكرون في أمر الخروج عن هذه الديار ، لولا أن شددت من أزرهم رسالة جاءتهم من المنافقين ، وشجعتهم على عصيان أمر الرسول . فقد كتب رئيس المنافقين « عبد الله بن أبي » : لا تخرجوا من دياركم ! وإياكم والجلاء عن أوطانكم ! إننا سننصركم : « لن أخرجكم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبداً ، وإن قوتلتم لننصرنكم ^(١) ! » .

(١) سورة الحشر آية رقم (١١) .

قال سلامُ أحدُ ساداتِ بني النَّضِيرِ لِحُيٍّ :

واللهِ لقدَ مَنَعَكَ نَفْسُكَ يَا حُيُّ بِالْبَاطِلِ . إِنْ ما قاله ابنُ أُبَيٍّ كَذِبٌ ،
وافتراءٌ ، وهو إنما يُريدُ أن يُوقِعَكَ وقومَكَ في الهلاكِ !

قال حُيٌّ : نَتَخَلَّى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا عداوةَ مُحَمَّدٍ وَقِتَالَهُ !

قال سلامُ : هوَ — واللهِ — جلاؤنا من أرضِنَا ، وذهابُ أموالنا وشرفنا ،
وسبُ نِسائنا ، وقتلُ رجالنا !

وحملَ رايةَ الجهادِ على بنِ أبي طالبٍ ، وقاتلَهُم جُنْدُ المُسلمينَ بعد أن
حاصروهُم في ديارِهِم عشرينَ ليلةً ، وأمرَ رسولُ اللهَ بقطعِ أشجارِهِم ، فقطعَ
بعضُها^(١) . ولم تَطِبْ نفوسُ المُسلمينَ بهذا العملِ حتى نزلَ في ذلك قولُ الله
تعالى : « ما قَطَعْتُمْ من لِينَةٍ^(٢) أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ » .

وخرجَ بنو النَّضِيرِ لا يأخذُ الرَّجلُ من متاعِهِ إِلَّا قَدَرًا ما يَحْمِلُهُ جَمَلُهُ ،
وَيَدَعُ الباقى وذهبوا إلى الشَّامِ حيثُ لا رجعةَ لَهُم . واستولى الرسولُ
على أراضِيهِم وما بَقِيَ لَهُم من متاعٍ ، ونالَ مِنْهُ المُهاجرونَ ما أغْنَاهم
بعدَ ذلك .

قال سلامُ لِحُيٍّ : أينَ نَصُرُ ابنَ أُبَيٍّ الَّذى زَعَمْتَ ؟

قال حُيٌّ : ماذا أَصْنَعُ ؟ ! هىَ مَلْحَمَةٌ^(٣) كُتِبَتْ عَلَيْنَا .

(١) لم يقطع سوى ست نخلات

(٢) لينة : نخلة

(٣) ملحمة : حرب

قال الإمام البوصيري الشاعر صاحبُ الهمزية بِصِفِ خِدَاعِ الْمُنَافِقِينَ لِبَنِي
النَّضِيرِ وَيَذَكِّرُ مَا أَصَابَ بَنِي النَّضِيرِ مِنْ بَوَاسِ وَشَقَاءٍ :

خُدِعُوا بِالْمُنَافِقِينَ وَهَلْ يَنْفُقُ^(١) إِلَّا عَلَى السَّفِيهِ الشَّقَاءِ
وَنَهَيْتُمْ وَمَا انْتَهَتْ عَنْهُ قَوْمٌ فَأَيَّدَ الْأَمَّارَ وَالنَّهَّاءَ^(٢)
أَسْلَمُوهُمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ لَا مِيعَةً دُهِمَ صَادِقٌ ، وَلَا الْإِيْلَاءُ^(٣)
سَكَنَ الرَّعْبُ وَالْخَرَابُ قُلُوبًا وَبُيُوتًا مِنْهُمْ نَعَاهَا الْجَلَاءُ
وَنَزَلَتْ سُورَةُ الْحَشْرِ كُلُّهَا فِي شَأْنِ بَنِي النَّضِيرِ . وَكَانَ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
عَبَّاسٍ يُسَمِّيَهَا : « سُورَةُ بَنِي النَّضِيرِ » .

قِصَّةُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ :

وَأَسْلَمَ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ رَجُلَانِ هُمَا : أَبُو سَعْدُ بْنُ وَهْبٍ ، وَيَامِينُ بْنُ عُمَيْرٍ .
قَالَ أَبُو سَعْدٍ لِصَاحِبِهِ :

وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، فَمَا تَنْتَظِرُ أَنْ تُسْلِمَ حَتَّى نَأْمَنَ عَلَى دِمَائِنَا
وَأَمْوَالِنَا ؟ ! ثُمَّ أَعْلَنَّا إِسْلَامَهُمَا وَلَمْ يَنْلُهُمَا سَوْءٌ بَعْدَ ذَلِكَ .

وَأَغْرَى « يَامِينُ » رَجُلًا مِنْ قَيْسٍ لِيَقْتُلَ ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَرْضَخَ
رَأْسَ الرَّسُولِ بِالْحَجَرِ فَفَعَلَ وَنَالَ مِنْهُ عَشْرَةَ دَنَانِيرٍ .

(١) يَنْفُقُ : يَجِدُ عِنْدَهُ قَبُولًا .

(٢) الْأَمَّارُ : الْكَثِيرُ الْأَوَامِرَ ، وَالنَّهَّاءُ : الْكَثِيرُ النَّوَاهِي .

(٣) الْإِيْلَاءُ : الْقِسْمُ .

سُورَةُ الْمُمتَحَنَةِ

مدنية . وهي ثلاث عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ
تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ
يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ
بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ
مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا
لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا
لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) قَدْ
كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا
لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا
بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا

بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ
 لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا
 وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) لَقَدْ كَانَ
 لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
 وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦) عَسَى اللَّهُ أَنْ
 يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ
 وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ
 يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ
 وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ
 اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ
 وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ
 هُمُ الظَّالِمُونَ (٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ
 مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ
 مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ
 يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ

تَنكِحُوهُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُمْ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ
الْكُوفَارِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ
يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ
أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ
مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (١١)
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ
بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ
وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا
يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا
غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ
مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣) . «

مقتطفات من معاني سورة الممتحنة

(١) قِصَّةُ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ .

(٢) التَّائِسِيُّ بِإِبْرَاهِيمَ وَمَنْ مَعَهُ .

(٣) قِصَّةُ أَسْمَاءَ مَعَ أُمِّهَا .

(٤) مُعَاهَدَةُ الْحُدَيْبِيَّةِ

(٥) امْتِحَانُ الْمُهَاجِرَةِ

(٦) مَبَايَعَةُ النِّسَاءِ .

١ - قِصَّةُ حَاطِبِ

حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ صَحَابِيٌّ آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ وَشَهِدَ مَعَهُ بَدْرًا ، وَهَاجَرَ مَعَ مَنْ هَاجَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَقَامَ بِهَا وَخَلَّى أَوْلَادَهُ وَأَقَارِبَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي مَكَّةَ . وَحِينَئِذٍ عَلِمَ بِأَنَّ النَّبِيَّ يُعِدُّ جَيْشَهُ لِفَتْحِ مَكَّةَ ، أَرْسَلَ رِسَالَةً مَعَ امْرَأَةٍ لِأَهْلِ مَكَّةَ جَاءَ فِيهَا :
مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، إَعْلَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ يُرِيدُكُمْ فَخُذُوا حِذْرَكُمْ .

وَنَزَلَ جِبْرِيلُ بِخَبَرِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ الَّتِي تَحْمِلُ الرِّسَالَةَ الْمَذْكُورَةَ ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ وَغَيْرَهُمْ فِي طَلِبِهَا ، فَسَارُوا حَتَّى وَصَلُوا مَوْضِعًا^(١) يَبْعُدُ عَنِ الْمَدِينَةِ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا ،

(١) روضة خاخ .

وهناك التقوا بالمرأة ، ولكنها أنكرت عليهم أمر الرسالة ، فسل على سيفه وهددها ، فأخرجتها من خفائر شعرها . وعاد الوفد مظفراً يحمل رسالة حاطب . ودعا الرسول حاطباً وسأله : ما الذي حملك على ما فعلت ؟

فأجاب حاطب : يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ، ولا غششت منذ نصحتك ، ولا أحببتهم منذ فارقتهم ، ولكني كنتُ أمراً ملصقاً في قريش (غريباً عنهم) ، وكل من معكم من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمّون قراباتهم وأموالهم غیری ، فخشيتُ على أهلي ، وأردتُ أن ألتجئ عند أهل مكة يداً ، وقد علمتُ أن الله تعالى سينزل عليهم بأسه ، وأن كتابي لا يُغني عنهم شيئاً . فصدقته النبي ، وقبل عذره . فقال سيدنا عمر : دغني يا رسولاً أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبي : « إنه شهيد بداراً ، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

ونزل قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوؤي وعدوكم » إلخ .

تنهى المؤمنين عن موالاة أعدائهم وإفشاء أسرار المؤمنين بغرض التقرب إلى الكفار ، لأنهم يخالفونهم في الدين ، ولأنهم إن يظفروا بهم يذيقوهم ألوان العذاب ، بالقتل والضرب ، والشتم والسب ، وإن ينفعهم حينئذ الاتصال بهم والتقرب إليهم .

٢ - التَّاسِي بِإِبْرَاهِيمَ وَمَنْ مَعَهُ

« لَقَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ » .

أَرْشَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَمْثَالِ حَاطِبٍ إِلَى قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَفِيهَا مَثَلٌ رَائِعٌ مِنْ أَمْثَلِ الْإِيمَانِ الْخَالِصِ ، وَالْعَقِيدَةِ الصَّادِقَةِ ، وَالْأُسْوَةِ الْحَسَنَةِ ، فَقَدْ تَبَرَّأَ إِبْرَاهِيمُ وَالَّذِينَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِمْ ، وَنَبَذُوهُمْ نَبَذَ النَّوَاةِ وَلَمْ تَأْخُذْهُمْ شَفَقَةٌ عَلَى وَلَدٍ ، أَوْ خَوْفٌ عَلَى مَالٍ
وَقَالُوا لِقَوْمِهِمْ . « إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ » .

وَأَنْكَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى أَبِيهِ عِبَادَةَ غَيْرِ اللَّهِ كَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ :
« وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ^(١) » .

وَتِلْكَ هِيَ قِضِيَّةُ الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ . . . ! !

وَمَنْ وَاجِبِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَوَكَّلُوا عَلَى رَبِّهِمْ ، وَيَرْجِعُوا إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ ، وَيَرْفَعُوا إِلَيْهِ أَكْفَهُمْ سَائِلِينَ مُتَضَرِّعِينَ :
« رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ، وَافْرِغْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

(١) سورة الأنعام ، الآية رقم ٧٤ .

٣ - أسماء وأُمُّها

كانت قُتَيْلَةُ بِنْتُ الْعَزَّى - أُمُّ أَسْمَاءَ - مَشْرِكَةً وَمُطَلَّقَةً مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَدِمَتْ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى ابْنَتِهَا ، وَطَلَبَتْ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهَا هَدَايَاها . فَأَبَتْ أَسْمَاءُ ، وَامْتَنَعَتْ مِنْ أَنْ تَسْمَحَ لَهَا بِالذُّخُولِ فِي بَيْتِهَا ، وَأَرْسَلَتْ إِلَى عَائِشَةَ لِتَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ (ص) عَنْ ذَلِكَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ :

« لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ . . . » إلخ .
فَأَمَرَ الرَّسُولُ أَسْمَاءَ أَنْ تَقْبَلَ هَدِيَّةَ أُمِّهَا ، وَأَنْ تُدْخِلَهَا بَيْتَهَا ، وَأَنْ تُكْرِمَهَا وَتُحْسِنُ إِلَيْهَا .

وَمُلَخَّصُ الْآيَتَيْنِ :

(١) يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يُحْسِنُوا مُعَامَلَةَ الْكُفَّارِ مَا دَامُوا لَمْ يَقُومُوا بِأَعْمَالٍ تَضُرُّ بِهِمْ .

(٢) أَمَّا إِنْ فَعَلُوا مَا يَضُرُّ الْمُسْلِمِينَ ، كَأَنْ يَتَعَاوَنُوا عَلَى إِخْرَاجِهِمْ مِنْ أَوْطَانِهِمْ ، أَوْ يَعْمَلُوا عَلَى الْإِنْتِفَاعِ بِخَيْرَاتِ بِلَادِهِمْ دُونَهُمْ ، فَإِنَّ وَاجِبَ الْمُسْلِمِينَ حِينَئِذٍ أَنْ يِقَاتِلُوهُمْ ، وَيَتَعَاوَنُوا عَلَى مَقَاوِمِهِمْ ، وَالِدِفَاعِ عَنْ مَصَالِحِهِمْ ؛ وَكُلُّ مَنْ يُصَادِقُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُعْتَبَرُ خَائِنًا وَظَالِمًا لِنَفْسِهِ ، وَمُخَالَفًا لِأَمْرِ اللَّهِ .

٤ — مُعَاهَدَةُ الْحُدَيْبِيَّةِ

وفي سنة سِتٍّ من الهجرة عاهد النبيُّ أهلَ مكة عهدَ الحُدَيْبِيَّةِ^(١) ،
وخلصةُ هذا العهدِ : أنَّ مَنْ أتى مُحَمَّدًا مِنْ أَهْلِ قُرَيْشٍ أعادهُ
إليهم ، وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ لم يردُّوهُ عليه .
ولمَّا كانت هذه المُعَاهَدَةُ لا تنطبقُ إلَّا على الرِّجَالِ فقط ، فقد
بيَّنَ اللهُ في السُّورَةِ (سُورَةُ الْمُتَحَنِّةِ) أمرَ النِّسَاءِ اللَّائِي يَهْجِرْنَ
مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ فراراً بدينهنَّ مِنْ موطنِ الكُفَّارِ .

٥ — امْتِحَانُ الْمُهَاجِرَةِ

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ .. »
ومادةُ هذا الامتحان أن تُقسِمَ المُهَاجِرَةُ بالله : إنها ما خَرَجَتْ
كَارِهَةً لِزَوْجِهَا ، وَإِنَّمَا خَرَجَتْ حُبًّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ .
وَوَجَبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَلَّا يُعِيدُوهُنَّ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ مِنَ الْكُفَّارِ ، فقد
انقطعتْ صِلَتُهُنَّ بِهِمْ بسببِ إيمانهنَّ ، وَعَلَيْهِمْ أَيْضًا أَنْ يَرُدُّوا لِأَزْوَاجِهِنَّ
مَا دَفَعُوهُ إِلَيْهِنَّ مِنْ مُهُورٍ . وقد نفَّذَ سَيِّدُنَا عُمَرُ هذا الحكمَ حينما تزوجَ
سُبَيْعَةَ بِنْتَ الْحَرْثِ إِحْدَى النِّسَاءِ الْمُهَاجِرَاتِ بَعْدَ مَا دَفَعَ مَهْرَهَا لِزَوْجِهَا
مُسَافِرٍ الْمَخْزُومِيَّ حينَ قَدِمَ إِلَى الْمَدِينَةِ طَالِبًا لَهَا .

(١) الحديبية : قرية صغيرة بالقرب من مكة سميت باسم بنو هنالك .

وَكَذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَرُدُّوا شَيْئًا مِنْ مُهُورِ
النِّسَاءِ اللَّائِي بَقِينَ عَلَى الْكُفْرِ .

٦ - مُبَايَعَةُ النِّسَاءِ عِنْدَ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَقِصَّةُ هِنْدَ

كَمَا بَايَعَ الرَّجَالُ النَّبِيَّ عِنْدَ فَتْحِ مَكَّةَ ، أَقْبَلَ النِّسَاءَ كَذَلِكَ وَبَايَعْنَ رَسُولَ
اللَّهِ عَلَى مَا يَأْتِي مِنَ الْعُهُودِ ، وَفِيهِنَّ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ :

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : أَبَايَعُكُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا .

قَالَتْ هِنْدُ : وَاللَّهِ لَقَدْ عَبْدْنَا الْأَصْنَامَ ، وَإِنَّكَ لَتَأْخُذُ عَلَيْنَا أَمْرًا
مَا رَأَيْنَاكَ أَخَذْتَهُ عَلَى الرَّجَالِ ، تَبَايَعُ الرَّجَالُ عَلَى
الْإِسْلَامِ وَالْجِهَادِ

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَلَا يَسْرِقَنَّ .

قَالَتْ هِنْدُ : إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ ، وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْ مَالِهِ
هَنَاتٍ^(١) ، فَمَا أَدْرِي أَنْخِلُ لِي أَمْ لَا ؟ !

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : مَا أَصَبْتُ مِنْ شَيْءٍ فِيمَا مَضَى وَفِيمَا غَبَرَ فَهُوَ لَكَ حَلَالٌ .

فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ وَعَرَفَ هِنْدًا حِينَئِذٍ فَقَالَ لَهَا : وَإِنَّكَ لِهِنْدُ
بِنْتُ عُتْبَةَ .

(١) هَنَاتٌ : قَلِيلًا مِنَ الْمَالِ .

قالت هند : نَعَمْ . فَاصْفُ عَمَّا سَلَفَ يَا نَسِيَّ اللَّهِ عفا اللهُ عَنْكَ (١) !

فقال النبي : وَلَا يَزْنِيَنَّ !!

قالت هند : أَوْ تَزْنِيَّ الْحُرَّةُ ؟ ؟

فقال النبي : وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ !!

قالت هند : رَبِّدْنَاهُمْ صِغَارًا ، وَقَدَّاهُمْ (٢) كِبَارًا فَأَنْتُمْ وَهُمْ أَعْلَمُ !

فَصَحَّحَكَ عُمَرُ حَتَّى اسْتَقْفَى ، وَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ .

قال النبي : وَلَا يَأْتِيَنَّ بَيْهَتَانِ !!

قالت هند : إِنَّ الْبُهْتَانَ لِأَمْرٍ قَبِيحٌ وَمَا تَأْمُرُنَا إِلَّا بِالرُّشْدِ وَمَكَارِمِ

الْأَخْلَاقِ !!

فقال النبي : وَلَا تَعْصِبْنِي فِي مَعْرُوفٍ .

فقالت هند : وَاللَّهِ مَا جَلَسْنَا مَجْلِسًا هَذَا وَفِي أَثْنَانَا أَنْ نَعْصِيَكَ

فِي شَيْءٍ .

وَمَتَّ بَيْعَةُ النِّسَاءِ طَبَقًا لِلآيَةِ : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا

جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَكَ ... » إلخ .

(١) تشير إلى ما فعلته حين لاكت كبد حمزة تشفيا .

(٢) وكان ابنها حنظلة قتل يوم بدر

سُورَةُ الصَّفِّ

مدنية ، وهي أربع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ» (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢)
كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ
مَرْصُوصٌ (٤) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوذُّونَنِي
وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ
قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَإِذْ قَالَ
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ
بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ
مُبِينٌ (٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ
يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧)

يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ
عَذَابِ أَلِيمٍ (١٠) تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ
قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا
أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ
أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنْتُ
طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتُ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ
آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤) .

مقتطفات من معاني سورة الصّـف

(١) افْتُتِحَتْ هذه السورة الكريمة بِتَسْبِيحِ المَوْلى عزّ وجلّ ،
وَتَسْبِيحِهِ — عزّ وجلّ — هو تنزيهه وتقديسه عن كل ما لا يليقُ
به . وكلُّ ما في هذا الوجود يسبّح الله « وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ
بِحَمْدِهِ ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ » .

(٢) وقد رُوِيَ عن سيّدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما في سبب
نُزُولِ قول الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ؟ »
أن ناساً من المؤمنين — قبل أن يُفرضَ الجِهادُ في سبيلِ الله —
كانوا يقولون : « وَدِدْنَا لو أن الله أَخْبَرَنَا بِأَحَبِّ الأَعْمَالِ إِلَيْهِ
فَنَعْمَلْ بِهِ » فَأَخْبَرَ الله نَبِيَّهٗ أَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَيْهِ هو
الإيمانُ الخالصُ بِهِ ، وَجِهادُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ كما جاء في
الآية : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ
بُنَيَانٌ مَرصُوصٌ » . فَكَرِهَ بعضُ أولئك النَّفَرِ أَمْرَ الجِهادِ ، وَثَقُلَ
على أنفسهم أَنْ تَخُوضَ مَيَادِينَ الْقِتَالِ ، جُبْنًا مِنْهُمْ وَحِرْصًا على
الحياةِ . فَأَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ الآيةَ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ
مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبِرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ » !!

(٣) وَوَرَدَ في ثَنايا هذه السورة إنكارُ سيّدنا موسى على قومه ما فعلوه

مَعَهُ مِمَّا لَا يَلِيقُ أَنْ يَتَعَرَّضَ لَهُ نَبِيٌّ أَرْسَلَهُ رَبُّهُ لِإِسْعَاقِ الْبَشَرِ ،
 وَلَكِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ آذَوْا مُوسَى ، وَكَفَرُوا بِرَبِّهِمْ حِينَما
 عَبَدُوا الْعِجْلَ — فَصَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ وَالْمِيلِ إِلَى
 الصَّوَابِ — هُمُ الَّذِينَ أَنْكَرُوا نُبُوَّةَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، حِينَما أَخْبَرَهُمْ
 أَنَّهُ مَرْسَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، مُصَدِّقًا بِالتَّوْرَةِ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى ،
 وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِ اسْمُهُ أَحْمَدُ ، وَهُوَ أَحَدُ أَسْمَائِهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٤) مَا هُوَ الْغَرَضُ مِنْ ذِكْرِ هَاتَيْنِ الْقِصَّتَيْنِ ؟

الْغَرَضُ تَذَكِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ بِهِذِهِ الْعَوَاقِبِ الْوَحِيمَةِ الَّتِي
 تَنَالُ الْخَالِفِينَ لِأَوَامِرِ اللَّهِ .

(٥) لَيْسَ أَحَدٌ أَظْلَمُ مِمَّنْ يَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ ، فَيَصِفُ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ
 مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِأَنَّهُ زُورٌ وَبُهْتَانٌ ، وَأَنَّهُ إِفْكٌ افْتَرَاهُ عَلَى اللَّهِ
 « وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ آخَرُونَ » ؛ وَمَا مِثْلُ هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ الْمُتَطَاوِلِينَ عَلَى اللَّهِ
 وَعَلَى نَبِيِّهِ ، إِلَّا كَمِثْلِ مَنْ يَتَّجِهُ إِلَى نُورِ الشَّمْسِ فَيَنْفُخُ فِيهِ لِيُطْفِئَهُ .
 هَلْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ ؟ كَلَّا ! !

« هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
 كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » !

(٦) وَفِي نِهَايَةِ السُّورَةِ حُضٌّ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى بَذْلِ الْمَالِ وَالنَّفْسِ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ ، وَتِلْكَ تِجَارَةٌ مَضْمُونَةُ الرَّبِّحِ ، حَسَنَةُ الْعَوَاقِبِ ، وَلَوْ بَذَلَ

المؤمنون أنفسهم وأموالهم لغفر الله ذُنُوبَهُمْ ، وأدخلهم يوم القيامة
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فِي مَسَاكِنَ طَيِّبَةٍ ؛ وفيها
حُثٌّ عَلَى الْجِهَادِ وَمَنَاصِرَةِ الرَّسُولِ ، كما حَدَّثَ لِسَيِّدِنَا عِيسَى مَعَ
أَتْلُفِيَّائِهِ مِنْ قَوْمِهِ حِينَما نَادَاهُمْ : « مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ؟ ؟ »
قال الحواريون المخلصون : « نحنُ أَنْصارُ اللَّهِ » . وبذلك تَمَّتْ
النُّصْرَةُ وَالْغَلْبَةُ عَلَى مَنْ عَادَاهُمْ مِنَ الطَّوَّافِ الْأُخْرَى .

١ - وَحْدَانِيَّةُ اللَّهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١١٨) »

(سورة المؤمنون)

شَرْحُ التَّعَابِيرِ وَالْمُفْرَدَاتِ

أَفَحَسِبْتُمْ	:	أَفَظَنْتُمْ .
عَبَثًا	:	لَهْوًا وَلَعِبًا .
العرش	:	« لغة » سريرُ الْمَلِكِ .
لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ	:	لَا دَلِيلَ لَهُ عَلَيْهِ ، وَلَا حُجَّةَ .

توضيح المعنى

تعالج هذه الآيات الكريمة ثلاث نواحٍ :

(١) الحكمة من خلق العالم .

(٢) حُكْم من يَعْبُدُ مع الله غيره .

(٣) تعليم الدعاء بِطَلَبِ المَغْفِرَةِ .

واقترن أسلوب الآية الأولى « بالهمزة » التي تستعمل للاستفهام لغرض الإنكار على من يَحْسَبُ أن الله خلق هذا الكون : سماءه وأرضه ، وما اشتمل عليه كلُّ منهما من أصنافِ المخلوقاتِ العجيبة — عبثاً ولهواً . إنه حُسانٌ باطلٌ ، وتفكيرٌ خاطئٌ ، بل التفكير الصحيح الذى ينبغى أن يكون هو : أن الله خَلَقَ الخلقَ من أجل أن يأمرهم بالعمل ، ثم يبعثهم يوم القيامة ليجازيهم على ما عَمِلُوا .

قال الإمام الترمذى : إنَّ الله خلق الخلق ليعبُدوه فَيُثَبِّتَهُمْ عَلَى العِبَادَةِ ويعاقبَهُمْ على تركها . فَإِنْ عَبَدُوهُ فَإِنَّهُمْ عبيدٌ أحرارٌ كرامٌ من رِقِّ الدُّنْيَا ، ملوكٌ فى دارِ السَّلامِ . وَإِنْ رَفَضُوا العبودية فَهُمْ اليوم عبيدٌ ، وغداً أعداء فى السجون بين أطباقِ النيران .

تَنَزَّهَ اللهُ عَنِ اللَّهْوِ وَالْعَبَثِ فى أفعاله ، فهو الملكُ الحقُّ ، لا إلهَ

غيره مالكُ هذا الكونِ بما فيه ، وخالقُ العرشِ الكريمِ ، الذى يُحِيطُ
بجميع الأجرامِ السَّماويةِ والأرضيةِ .

وهو الذى يَسْتَعْنِي عن كُلِّ موجود ، ويحتاج إليه كُلُّ مَوْجُود .

حُكْمُ مَنْ يَعْبُدُ غيرَ الله :

أما من يَعْبُدُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ مِنْ غيرِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ دَلِيلُ
يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ ، أَوْ حُجَّةٌ وَاضِحَةٌ يَسْتَنِدُ إِلَيْهَا ، مُحَاكَاةً لآبَائِهِ أَوْ تَقْلِيدًا
لِمَعَارِفِهِ وَأَصْدِقَائِهِ ، أَوْ انْحِرَافًا فِي التَّفْكِيرِ ، فَإِنَّمَا جَزَاؤُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ، يُجَازِيهِ
بِسُوءِ اعْتِقَادِهِ ، وَخَطَا تَفْكِيرِهِ ، وَضَلَالِهِ عَنِ الطَّرِيقِ السَّوِيِّ .

الدُّعَاءُ بِطَلَبِ الْمَغْفِرَةِ :

وَفِي الدُّعَاءِ بِطَلَبِ الْمَغْفِرَةِ عَلَّمَ اللهُ نَبِيَّهٖ أَنْ يَسْأَلُهُ غُفْرَانَ الذَّنْبِ ،
وَيُطَلِّبُ الرَّحْمَةَ ، بِقَوْلِهِ : « وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ
الرَّاحِمِينَ » .

فهو وحده الذى يُسْأَلُ لِيُفِيضَ عَلَيْنَا مِنْ نِعَمِهِ الْكَثِيرَةِ وَخَيْرَاتِهِ الْوَفِيرَةِ .

وَمَنْ أَدْعَيْتَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ :

اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا .

وَأَكْرِمْنَا وَلَا تَهِنْنَا .

وَأَعْطِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا .

وَأَثَرْنَا^(١) وَلَا تُؤَثِّرْ عَلَيْنَا .

وَارْضَ عَنَّا وَارْضِنَا .

وَرَوَى عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي . قَالَ : قُلْ : « اللَّهُمَّ
إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاغْفِرْ لِي
مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » .

(١) آثرنا : خصنا برحمته ، ولا تصرفها عنا بسبب معاصينا .

٢ - مِنْ مَشَاهِدِ الْقِيَامَةِ

« وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ
يَنْظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ
وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ
أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠) . »

(سورة الزمر)

شَرْحُ التَّعَابِيرِ وَالْمَفْرَدَاتِ

الصُّورُ	:	البُوقُ
فَصَعِقَ	:	فَمَاتَ
الْكِتَابُ	:	صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ

تَوْضِيحُ الْمَعْنَى

هذه هي نهاية الدنيا وبداية العالم الآخرى كما يحكيها القرآن الكريم : يُنْفَخُ فِي « الصُّورِ » ، والنافخ فيه من الملائكة هو إسرافيل .

وعند النَّفْخَةِ الْأُولَى يَمُوتُ اخْلَاقُ جَمِيعًا ، فَلَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ حَيٌّ مِنْ هَذِهِ الْخَلُوقَاتِ ، لَا مِنَ الْإِنْسِ وَلَا مِنَ الْجِنِّ وَلَا مِنَ الْحَيَّوَانِ وَلَا مِنَ الطَّيْرِ وعند النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ يَأْذَنُ اللَّهُ بِقِيَامِ النَّاسِ مِنْ مَوْتِهِمْ فَتَعُودُ الْأَرْوَاحُ إِلَى أَجْسَادِهَا ، فَإِذَا هُمْ يَنْتَشِرُونَ مَرَّةً أُخْرَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ ، وَإِذَا بِهِمْ فِي الْعَالَمِ الْآخِرِ عَالَمِ الْحِسَابِ .

« إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ، وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ، وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ، يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بَأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ، يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » .

« وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ، قَالَ : مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ » ^(١) .

قال العالمُ الجليلُ مُحَمَّدُ فَرِيدٌ وَجَدِي — عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللَّهِ — فِي تَفْسِيرِهِ ، عِنْدَ مُنَاقَشَةِ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ : « وَعِنْدَنَا أَنْ النِّفْخَ بِالْبُوقِ هُوَ تَعْبِيرٌ قَصِيدٌ مِنْهُ : الْإِعْلَانُ بِمَجِيءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَبِدَايَةِ الْبَعْثِ » .

وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَبَرُّزُ صُحُفِ الْأَعْمَالِ وَسِجِلَّاتِهَا وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ لِحَاسَبَةِ النَّاسِ عَلَى مَا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا ، وَحِينَئِذٍ تُشْرِقُ الْأَرْضُ بِمَا يَنْتَشِرُ فِيهَا مِنَ الْعَدْلِ ، فَلَا ظُلْمَ وَلَا جَوْرَ ، وَيُنَالُ كُلُّ فَرْدٍ

مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، وَسَيَكُونُ مِنْ شُهُودِ الْمَوْقِفِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةُ ،
 ثُمَّ يُسَاقُّ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ ، كَمَا تَقْصُّ عَلَيْنَا الْآيَاتُ الَّتِي
 تَلَى هَذِهِ خَبَرَ ذَلِكَ ؛ وَلَنْ يَنْفَعَ الْمَرْءَ يَوْمَئِذٍ إِلَّا مَا كَسَبَهُ مِنْ عَمَلٍ
 صَالِحٍ ، وَالْمُفْلِسُ الَّذِي يَجِيءُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَقَدْ جَنَى كُلَّ مُوَبِقَةٍ
 وَسَعَى إِلَى كُلِّ مُفْسِدَةٍ . رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص)
 قَالَ : « أَتَذَرُونَ مَنْ الْمُفْلِسِ ؟ » قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ،
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « الْمُفْلِسُ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَزَكَاةٍ
 وَصِيَامٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ
 هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ،
 فَإِنْ فَنِدَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ
 عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ ^(١) » .

(١) رواه مسلم .

٣ - طَوَائِفُ إِلَى النَّارِ وَأُخْرَى إِلَى الْجَنَّةِ

« وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتِيحتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِيحتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥) . »

(سورة الزمر)

شرح التعابير والمفردات

زُمرّاً	:	جماعاتٍ
خَزَنَتُهَا	:	حَفَظَتُهَا ، وهم الملائكة الموكلون بها
فَبُئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ	:	سَاءَ مَحَلٌّ لِّإِقَامَةِ الْمُتَكَبِّرِينَ .
تَنبَوُا مِنَ الْجَنَّةِ	:	نَسْكُنُ مِنَ الْجَنَّةِ .

توضيحُ المعنى

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ عَرَضَ لِمَا يَحْدُثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يُحَاسَبُ فِيهِ كُلُّ فَرْدٍ عَلَى مَا كَسَبَتْ نَفْسُهُ ، وَجَنَّتْ يَدَاهُ مِنْ عَمَلٍ ، وَالْمَوْقِفُ حِينَذَاكَ دَقِيقٌ رَهيبٌ ، يَخْتَلِفُ فِيهِ النَّاسُ كَمَا اخْتَلَفَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا .

هَآ هِيَ ذِي طَوَائِفُ أَهْلِ النَّارِ ، تُسَاقُ فِي ذِلَّةٍ وَمِهَانَةٍ إِلَى مَثْوَاهَا الْأَخِيرِ يَسْتَقَرُّونَ فِي أَحْضَانِ جَهَنَّمَ ، وَهَذِهِ الطَوَائِفُ مِنَ الْبَشَرِ هِيَ وَقُودُ النَّارِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ^(١) » وَنِيرَانِ جَهَنَّمَ الْمُنَاجَّجَةُ لَا تَشْبَعُ مِنْ أَحَدٍ ،

(١) سورة التحريم ، الآية رقم ٦ .

ولا تكفى بظانفة دون أخرى ، ولكنها مُعدّة لإقامتهم الدائمة . قال تعالى : « يوم نقول لجهنم هل امتلأت ؟ ونقول : هل من مزيد ^(١) ؟ » وَحِينَمَا تَرَىٰ جَهَنَّمَ الْمُجْرِمِينَ تَهَيَّجُ مِنَ الْغَيْظِ عَلَيْهِمْ : « إذا رأيتم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا ^(٢) » . وقد هيا الله لأهل النار طعاماً وشراباً . أما طعامهم فهو شجرة الزقوم : « إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ، كالمهل يعلى فى البطون . كغلى الحميم . خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم . ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم . ذق إنك أنت العزيز الكريم ^(٣) » .

وثمار هذه الشجرة مرة كالحنظل ، لا يستطيع الشخص أن يتلعه منها ولو جزءاً يسيراً . وكلما نضجت جلود أهل النار بدّلهم الله جلوداً غيرها : « إن الذين كفروا بآياتنا سوف نُصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً ^(٤) » .

الخلود فى النار :

يبقى الكفار فى النار دائماً أبداً وهكذا حالهم ، أما العصاة من المؤمنين فيخرجون منها بإذن الله كما ورد فى القرآن الكريم .

(١) سورة ق ، الآية رقم ٣٠ .

(٢) سورة الفرقان ، الآية رقم ١٢ .

(٣) سورة الدخان ، الآيات رقم ٤٣ - ٥٦ .

(٤) سورة النساء ، الآية رقم ٥٦ .

سؤال وجواب :

وَقَدْ سَأَلْنَا الْآيَاتُ الْكَرِيمَةَ أَنْ خَزَنَةَ النَّارِ ، وَهُمْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ تُخَاطَبُ هَذِهِ الطَّوَائِفَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ تَوْبِيخًا لَهُمْ : « أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ » مِنْ جَنْسِكُمْ ، يَحْمِلُونَ إِلَيْكُمْ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخُوفُونَكُمْ عَاقِبَةَ هَذَا الْيَوْمِ ؟ ؟

وَيُعْتَرِفُ الْكُفَّارُ بِمَجِيءِ الرَّسُولِ ، وَابْلَاغِهِمْ رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ عَصَوْا ، وَخَالَفُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَحَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ لَذَلِكَ !! وَقِيلَ لَهُمْ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ، فَمَا أَقْبَحَ مَا صِرْتُمْ إِلَيْهِ !

طوائف الجنة :

وَهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ ، فَاسْتَجَابُوا لِدَعْوَةِ الرَّسُولِ ، وَصَدَّقُوا بِهِمْ ، وَنَفَذُوا مَا حَمَلُوهُ إِلَيْهِمْ مِنْ شَرَائِعِ اللَّهِ يُسَاقُونَ فِي إِجْلَالٍ وَإِعْظَامٍ ، وَفِي سَمَوٍ وَفَخْرٍ ، مَرْفُوعِ الرَّأْسِ ، مَوْفُورَى الْكَرَامَةِ إِلَى حَيْثُ يَتَمَتَّعُونَ بِلَذَائِدِ الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ فِي جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ :

« مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ، وَمَغْفِرَةٌ مِنْ

رَبِّهِمْ^(١) » ، وَحِينَما تَسْتَقِرُّ بِهِم الدَّارُ يُحْيِيهِم حُرَاسُهَا تَحِيَّةَ التَّقْدِيرِ
وَالْإِجْلَالِ : « سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ » !!

ذَلِكَ هُوَ حَالُ الْمُخْلِصِينَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ! يَتَمَتَّعُونَ بِكُلِّ مَا لَدَى
وِطَابٍ ، فَيَنَالُونَ أَشْهَى الْمَأْكَلِ ، وَيَحْتَسُونَ أَلَذَّ الشَّرَابِ وَهُمْ يَجْلِسُونَ
كَمَا يَجْلِسُ الْمُلُوكُ فِي الدُّنْيَا ، بَلْ إِنَّهُمْ أَسْعَدُ حَالًا مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا .
وَإِذَا كَانَ خَمْرُ الدُّنْيَا يَضُرُّ بِالشَّارِبِ فِي جِسْمِهِ فَيُفْسِدُ عَقْلَهُ ، وَيُصَدِّعُ
رَأْسَهُ ، وَيَجْعَلُهُ أَقْرَبَ شَبَهًا بِالْبَهَائِمِ ، فَإِنَّ خَمْرَ الْآخِرَةِ بِلَوْنِهِ الْأَبْيَضِ
وَطَعْمِهِ اللَّذِيذِ يَبْعَثُ عَلَى الشُّرُورِ ، وَلَا يُوَثِّرُ فِي الْأَجْسَامِ .

« إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ . أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ . فَوَاكِهُ وَهُمْ
مُكْرَمُونَ . فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ . يُطَافُ عَلَيْهِمْ
بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ . بَيَضاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ . لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا
يُنْزَفُونَ^(٢) » .

لَذَّةُ رُوحِيَّةٍ :

رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا جَاءَ بِهِ عَنْ رَبِّهِ أَنَّهُ قَالَ :
« قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ،
وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » .

(١) سورة محمد (ص) ، الآية رقم ١٥ .

(٢) سورة الصافات ، الآيات « ٤٠ - ٤٧ » .

وفي هذا دليلٌ على أنه — زيادةً على ما قدَّمنا ذِكرَهُ مِنْ تِلْكَ اللَّذَائِدِ : لَذَّةِ الأَكْلِ والشُّرْبِ والراحَةِ — فَإِنَّ هُنَاكَ مُتْعَةً أُخْرَى ، وَنِعْمَةً أَجَلْ وَأَعْظَمَ مِنْ تِلْكَ اللَّذَائِدِ هِيَ لِقَاءُ اللَّهِ ، ورضوانُهُ على عَبْدِهِ ، وَجاءَ في القرآن : « وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ » ، « فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » .

تَهْذِيبُ الظَّالِمِينَ وَتَنْقِيتُهُمْ :

قالَ النَّبِيُّ (ص) : « يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمِ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ » .

٤ - نِعْمُ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ

« وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٥) وَإِنَّ لَكُمْ فِي
الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ
لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (٦٦) وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ
وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧) وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ
اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨)
ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ
مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩) . »

(سورة النحل)

شرح التعابير والمفردات

لَايَة	: كَلَامَة وَدَلِيلًا .
الأنعام	: الإبل ، والبقر ، والغنم .
الفرث	: فَضَلَات الْحَيَوَانَات (الرّوث) .
سائغاً	: سَهْلَ المُرُور فِي الخَلْق .
دَلِيلًا	: مُمَهِّدَة ، يَسْهَلُ المُرُور عَلَيْهَا .

توضيح المعنى

نَعَمْ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ كَثِيرَةٌ ، تَجَلُّ عَنْ الْعَدَّ ، وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ « وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ^(١) » .

وفى هذه الآيات حديثٌ عن جانبٍ من نِعَمِ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَتَعَدَّادِ لِمُظَاهِرِ قُدْرَتِهِ الْبَاهِرَةِ ، حَتَّى تَهْتَدِيَ عَقُولُ الْبَشَرِ إِلَيْهَا ، فَإِذَا وَضَحَتْ لَهُمْ آيَاتُهَا ، وَبَانَ لَهُمْ دَقَائِقُ صَنْعَتِهَا ، آمَنُوا عَنْ يَقِينٍ ، وَعَدِمُوا أَنْ خَالِقَهَا هُوَ اللهُ وَحْدَهُ : لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ وَلَا مُعَاوَنَ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ .
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ !!

(١) سورة إبراهيم ، الآية رقم ٢٤ .

أولاً : نِعْمَةُ الْمَاءِ :

والماء عُنْصُرٌ مِنَ الْعُنْصُرِ الْهَامَّةِ الَّتِي تَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا حَيَاةُ الْمَخْلُوقَاتِ جَمِيعاً .
أَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ ، فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ أَشْجَاراً ذَاتَ ثَمَارٍ مُخْتَلِفَةً ،
وَفَوَاكِهَ مُتَنَوِّعَةً ، يَنْعَمُ بِهَا الْإِنْسَانُ وَالْحَيَوَانُ كَذَلِكَ . وَالْأَرْضُ قَبْلَ أَنْ
يَنْزَلَ عَلَيْهَا الْمَاءُ يَابِسَةٌ مُجْدِبَةٌ ، وَلَكِنَّمَا سُرْعَانِ مَا تُخْصِبُ بَعْدَ هَذَا الْجَدْبِ ،
فَتَحْيَا بَعْدَ مَوْتٍ ، وَتُمْرَعُ بَعْدَ قَحْطٍ ، وَفِي ذَلِكَ آيَةٌ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ ،
وَمَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ قُدْرَتِهِ ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى فِكْرٍ أَوْ تَأَمُّلٍ .

ثانياً : نِعْمَةُ اللَّبَنِ :

وَاللَّبَنُ هُوَ الْغِذَاءُ الْكَامِلُ الَّذِي يَتَكَوَّنُ مِنَ الْعُنْصُرِ الضَّرُورِيِّ
لِبِنَاءِ الْأَجْسَامِ . إِنَّهُ مَادَّةٌ تَجْرِي مِنْ ضُرُوعِ الْأَنْعَامِ ، الَّتِي تَعْتَمِدُ فِي
غَذَائِهَا عَلَى مَا تُخْرِجُهُ الْأَرْضُ مِنَ الْمَرْعَى . وَقَدْ أَرَادَتْ حِكْمَةُ الْعَلِيِّ
الْقَدِيرِ أَنْ يَكُونَ مِنْ غِذَاءِ الْحَيَوَانِ ، مَا كَوَلِ اللَّحْمُ — بَعْضُهُ دَمٌ
خَالِصٌ ، وَبَعْضُهُ الْآخِرُ فَرْثٌ ، فَيَغْذِي بَعْضُ هَذَا الدَّمِ خَلَايَا خَاصَةً
بِصْنَعِ لَبَنِ خَالِصٍ سَائِغٍ لِلشَّارِبِينَ . إِنْ مَا يُوجَدُ فِي كَرَشِ الْحَيَوَانِ مِنْ
فَرْثِ كَرِيهِهِ مُسْتَقْدَرٌ ، تَعَاْفَهُ النَّفْسُ ، وَمَا يَحْوِيهِ هَذَا الْكَرَشُ مِنْ دَمٍ
يَنْفِرُ مِنْهُ الطَّبْعُ ، فَكَيْفَ جَازٍ أَنْ يَكُونَ الْخَارِجُ مِنْ بَيْنِ هَذَيْنِ الْعُنْصُرَيْنِ ،
عُنْصُرًا ثَالِثًا ، سَائِغًا فِي الْخَلْقِ ، لَذِيذَ الطَّعْمِ . . . هُوَ اللَّبَنُ !!!
إِنَّهَا قُدْرَةُ اللَّهِ !!

فما أَجَلَ نِعْمَتِهِ تَعَالَى ! وما أَعْظَمَ قُدْرَتَهُ !

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« عَلَيْكُمْ بِالْبَانِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ فَإِنَّهَا تَرِمُّ مِنَ الشَّجَرِ كُلِّهِ ^(١) ، وَهُوَ دَوَاءٌ
مِنْ كُلِّ دَاءٍ » .

ثَالِثًا : نِعْمَةُ الثَّمَارِ :

تَنْبَتُ أَشْجَارُ النَّخِيلِ عِنْدَنَا فِي السُّودَانِ بِكَثْرَةٍ فِي جِهَاتِ « الْمَدِيرِيَّةِ
الشَّامَالِيَّةِ » ، وَيَصْدَرُ مَحْصُولُهَا إِلَى شَرْقِ السُّودَانِ وَغَرْبِهِ ، وَجَنُوبِهِ ،
وَيُؤْكَلُ الثَّمَرُ ثَمَارِ النَّخِيلِ رُطْبًا وَيَابَسًا وَهُوَ غِذَاءٌ جَيِّدٌ ، كَمَا يُتَّخَذُ
مِنْهُ شَرَابٌ حُلْوٌ لَذِيذٌ الطَّعْمِ ، وَتُؤْكَلُ ثَمَارُ أَشْجَارِ الْعِنَبِ ، وَيُتَّخَذُ
مِنْ زَبِيبِ الْعِنَبِ شَرَابٌ حُلْوٌ مُمْتِعٌ ، يُطْفِئُ سُورَةَ الْعَطَشِ — وَأَكْثَرُ
مَا يُسْتَعْمَلُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْمَعْظَمِ وَيَقْدَمُ لِلضُّيُوفِ وَفِي مَادَبِ الْأَفْرَاحِ ،
وَجُمْهُورِيَّةِ السُّودَانِ تَفَكَّرُ فِي الْإِسْتِفَادَةِ مِنْهُ بِوَجْهِ أَوْسَعِ .

وَقَدْ أَشَارَتْ الْآيَاتُ إِلَى مَا كَانَ لِلْعَرَبِ يُسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ عَصِيرِ الْعِنَبِ ،
فَيَتَّخِذُونَ مِنْهُ شَرَابًا هُوَ الْخَمْرُ — كَانَ حَلَالًا عَلَيْهِمْ شُرْبُهُ ، وَلَكِنَّ
الْإِسْلَامَ حَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ لِمَا فِيهِ مِنْ مَضَارٍّ عَظِيمَةٍ وَمَفَاسِدٍ كَبِيرَةٍ كَمَا
جَاءَ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ :

(١) تَرِمُ مِنَ الشَّجَرِ كُلِّهِ : تَأْكُلُ مِنَ الشَّجَرِ كُلِّهِ

« إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
فاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ^(١) » .

رابعاً : نِعْمَةُ الْعَسَلِ .

والعسل مادة صفراء أو حمراء أو بيضاء ، تسيل مِنْ بُطُون حَشَرَاتٍ
صغيرةٍ الْحَجْمِ هي « النحل » . وقد أَلْهِمَ اللهُ هَذِهِ الْحَشَرَاتِ أَنْ تَبْنِيَ
مساكنها « خلاياها » بِطَرِيقَةٍ هَنْدَسِيَّةٍ جَمِيلَةٍ فِي الْجِبَالِ ، وَالْأَشْجَارِ
وَفِي بَعْضِ الْعُرُوشِ الَّتِي يُشَيِّدُهَا لَهَا النَّاسُ مِنْ أَغْصَانِ الْأَشْجَارِ ، وَالنَّحْلِ
يَمْتَصُّ رَحِيقَ الثَّمَارِ وَالْأَزْهَارِ ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى خَلَايَاهُ ، لِيُخْرِجَهُ مُخْتَلِفَ
الْأَلْوَانِ ، لَذِيذَ الطَّعْمِ ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ .

وَيُمَجِّجُ النحل في خلاياه أيضاً السَّمْعَ . وَيَتَّخِذُ النحل مِنْ بَيْنِ أَفْرَادِهِ
مَلِكَةً عَلَيْهِمْ تَمَتَّازُ بِعَظَمِ الْخَلْقَةِ ، وَضَخَامَةِ الْجِسْمِ وَزَوْجِهَا يُسَمَّى :
« اليعسوب » وقد امتازت هذه المخلوقات العجيبة بخواص تدل على
ما وهبها الله من ذكاء وفطنة ، فهي مُنْقَادَةٌ لِمَلِكَتِهَا ، تُطِيعُ أَوَامِرَهَا ،
وَتَنْفِذُ أَحْكَامَهَا وَتَخْرُجُ مِنْ بُيُوتِهَا ، تَبْحَثُ عَنْ غِذَائِهَا ، ثُمَّ تَعُودُ إِلَيْهَا
لَا تُخْطِئُهَا وَلَا تِضَلُّ عَنْهَا . فَسُبْحَانَ الَّذِي أَلْهَمَهَا وَجَعَلَ مِنْ مُجَاجِبِهَا
غِذَاءً نَافِعاً وَمَحْبُوباً !!

(١) سورة المائدة ، الآية رقم ٩٠ .

العسل دواء :

يَحْتَوِي الْعَسَلُ عَلَى مَادَّةٍ ^(١) « الْجُلُوكُوز » الَّتِي يُسْتَعْمَلُ مَعَ « الْأَنْسُولِين » فِي حَالَةِ الْإِصَابَةِ بِمَرَضِ الْبُولِ السَّكْرِيِّ . وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنَّ أَخِي اسْتَطْلَقَ بَطْنَهُ (أَصَابَهُ إِسْهَالٌ) فَأَشَارَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ أَنْ يَسْقِيَهُ عَسَلًا . فَسَقَّاهُ . ثُمَّ عَادَ وَقَالَ : لَقَدْ سَقَيْتَهُ عَسَلًا فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا إِسْهَالًا ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صَدَقَ اللَّهُ حَيْثُ قَالَ : « فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ » وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ . أَذْهَبَ فَاسْقِهِ عَسَلًا ، فَذَهَبَ ، فَسَقَاهُ فَبُرِيَ .

سؤال :

ما رأى الشريعة الإسلامية في عَصِيرِ التَّمْرِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَنَا إِذَا لَمْ يَكُنْ مُسْكِرًا ؟ ؟

(١) كتاب : « القرآن ينبوع العلوم والعرفان » .

٥ - الْأَخْذُ بِالشَّارِّ

« اُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ
عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ
فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ
لِلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ
عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ
مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨) . »

(سورة النحل)

شَرْحُ التَّعَابِيرِ وَالْمُفْرَدَاتِ

وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ :	نَاقِشْهُمْ بِأَحْسَنِ الطَّرْقِ .
وَلَا تَكُ	: وَلَا تَكُنْ .
ضَيْقٌ	: شِدَّةٌ ، وَحُزْنٌ .

توضيح المعنى

(١) فى الآية الأولى تَوْجِيهٌ وإِرْشَادٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى إبلاغه دَعْوَةَ رَبِّهِ لِلنَّاسِ . وإذا كَانَتْ طَبَائِعُ النَّاسِ تُعَارِضُ كُلَّ مَنْ يَدْعُو إِلَى خَيْرٍ ، أَوْ يَحْتُ على فَضِيلَةٍ — وَالنَّاسُ دَائِمًا يُعَادُونَ مَا يَجْهَلُونَ نَفْعَهُ وَبَرَكَتَهُ — فَإِنْ مِنْ وَاجِبِ الدَّعَاةِ أَنْ يَسْتَعْمِلُوا اللَّيْنَ وَالرِّفْقَ ، وَأَنْ تَكُونَ لَهُمْ مِنْ سَعَةِ الصَّدْرِ ، وَسَمَاحَةِ الْخُلُقِ مَا يُمَكِّنُهُمْ مِنْ أَدَاءِ مُهِمَّتِهِمُ الَّتِي يَقُومُونَ بِهَا ، وَأَنْ يُجَادِلُوا وَيَسْتَعْمِلُوا فِي جِدَالِهِمْ وَمُنَاقَشَتِهِمْ مَعَ النَّاسِ خَيْرَ الطَّرِيقِ وَأَقْرَبَهَا إِلَى الْعَقْلِ . فَالْمُحَادَاثَةُ الْهَادِيَةُ ، وَالْأَدْلَةُ الْوَاضِحَةُ الْمُقْنِعَةُ ، الْمَقْرُونَةُ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، تَعْتَبَرُ مِنْ أَحْسَنِ الطَّرِيقِ لِإِقْنَاعِ مَنْ تَرِيدُ إِقْنَاعَهُ . وَقَدْ وَصَفَ اللهُ نَفْسِيَةَ النَّبِيِّ فِي مُعَامَلَتِهِ لِلْعَرَبِ بِقَوْلِهِ : « وَلَوْ كُنْتُ فَظًّا غَلِيظًا لَاقْتَضَوْا مِنْ حَوْلِكَ » .

(٢) وإذا كَانَ الدَّاعِي إِلَى سَبِيلِ اللهِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَى قَدَرٍ كَبِيرٍ مِنْ سَمَاحَةِ النَّفْسِ وَكَرَمِ الْأَخْلَاقِ ، كَمَا عَرَفْنَا مِنَ الْآيَةِ السَّابِقَةِ . فَإِنَّ الْآيَاتِ الَّتِي جَاءَتْ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى آخِرِ سُورَةِ النَّحْلِ ، تَعَالِجُ مَوْضُوعَ الْأَخْذِ بِالثَّأْرِ ، وَتُبَيِّنُ مَوْقِفَ الْمَرْءِ مَعَ غَيْرِهِ ، إِنْ

أَسَاءَ إِلَيْهِ أَحَدٌ أَوْ أُنْزِلَ بِهِ ضَرَرًا أَوْ كَارِثَةً كَمَا حَدَّثَ لِلرَّسُولِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

سَبَبُ نَزُولِ الْآيَاتِ :

فِي غَزْوَةِ أَحَدٍ — الَّتِي كَانَتْ فِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ — قُتِلَ حَمَزَةُ
ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمِ النَّبِيِّ ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى جُثَّةِ حَمَزَةٍ وَقَدْ
مَثَلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ ، فَسَاءَ مَا رَأَاهُ ، وَجَرَى لِسَانُهُ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ أَلَمًا
وَحُزْنًا عَلَيْهِ :

« رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، لَقَدْ كُنْتُ وَصُولًا لِلرَّحِمِ ، فَعَلًّا لِلخَيْرِ .
وَاللَّهِ لَئِنْ أَظْفَرَنِي اللَّهُ بِهِمْ لَأَمْلُنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ » .

فَنَزَلَ حِينَئِذٍ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : « وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ
وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ » .

فَعَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ، وَقَالَ : بَلْ نَصِيرُ عَلَى مَا أَصَابَنَا ! وَنَهَى عَنِ
الْمِثْلِ . ثُمَّ سَجَّى حَمَزَةَ بِبُرْدَتِهِ وَصَلَّى عَلَيْهِ وَدَفَنَهُ .

وَتَرَسُّمُ الْآيَاتِ خُطَّتَيْنِ وَاضِحَتَيْنِ الْأَخْذُ بِالثَّارِ :

الْخُطَّةُ الْأُولَى :

أَنْ تَكُونَ الْعَاقِبَةُ ، أَوْ الْأَخْذُ بِالثَّارِ — بِمِثْلِهَا . فَمَنْ ضَرَبَكَ عَلَى
يَدِكَ ضَرْبَةً عَلَى يَدِهِ . وَمَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ أَسَاءَتْ إِلَيْهِ كَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ .

الخطّة الثانية :

أن يُقَابِلَ الإِسَاءَةَ أَوْ الضَّرْبَ بِالْعُفْوِ عَنِ الْمُسِيءِ ، وَالصَّفْحِ عَنْ فَعْلَتِهِ . وهذه مكانة عظيمة ، ومرتبة لا يَصِلُ إليها إلا الْمُتَّقُونَ . فاعمل على أن تكون من ذوى الخطّة الثانية ، الَّذِينَ يَكْظُمُونَ غَيْظَ أَنْفُسِهِمْ ، وَيُحْسِنُونَ إِلَى مَنْ يُعَادِيهِمْ ، وَبِذَلِكَ تَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ مَعَكَ بِعَوْنِهِ وَفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ : « إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ » . قال صلى الله عليه وسلم :

« لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ » .

٦ - خمس لا يعلمها إلا الله

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٣٣) إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤) .»

(سورة لقمان)

شرح التعابير والكلمات

- اتَّقُوا رَبَّكُمْ : امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه .
فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ : فلا تغشَّنكم .
الأَرْحَامِ : جمع رَحِم ، مكان الجنين من بطن أمه .

توضيح المعنى

تَقْوَى اللَّهِ : عبارة عن انقياد النفس المؤمنة لأوامر الله واجتنابها لنواهيه . ولولا خشية الله ، لَمْضَى الإنسان في شُرُوره ، ولانْكَبَّ

فِي لَذَائِذِهِ لَا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَيَوَانِ الْأَعْجَمِ . وَمِنْ فَوَائِدِ تَقْوَى اللَّهِ :
(١) أَنَّهَا تَهْبُ الشَّخْصُ الْمُسْتَمْسِكُ بِهَا طُمَأْنِينَةً فِي النَّفْسِ ، وَهُدُوءًا
فِي الْقَلْبِ .

(٢) وَتَجَمُّعُ مِنْهُ رَجُلًا شُجَاعًا ، يُبْذَى رَأْيُهُ فِي صَرَاحَةٍ تَدَمَّةٍ ،
وَيَرْفُضُ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا يُخَالِفُ مَا جَاءَ بِهِ الدِّينُ . قَالَ تَعَالَى
فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ :

« يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ » .
وَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ يُخَاطَبُنَا رَبُّنَا ، وَيَأْمُرُنَا بِتَقْوَاهِ وَالْخَوْفِ مِمَّا يَحْدُثُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ فَكُلُّ إِنْسَانٍ مُحَاسَبٌ بِمَا عَمِلَ . وَيَذَكِّرُنَا أَيْضًا بِأَنَّ
مَنْ وَاجِبُنَا أَنْ لَا نَغْتَرَّ بِأَمْرِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، فَلَا نَتَّبِعْ هَوَى
النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ ؛ بَلْ عَلَيْنَا أَنْ نُخَالِفَ هَوَاهُمَا ، وَنَعْمَلَ بِمَا أَمَرَ بِهِ
رَبُّنَا ، حَتَّى كَنَالِ رِضَاهَ عَنَا ، وَمَغْفِرَتَهُ لِدُنُوبِنَا ، فَنَكُونَ بِذَلِكَ مِنَ
الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَرَضِيَ عَنْهُمْ . وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ شَفِيعٌ فِي ذَلِكَ
الْيَوْمِ إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ ، فَالْوَالِدُ مُحَاسَبٌ عَلَى مَا اقْتَرَفَ لَا تَنْفَعُهُ
شَفَاعَةُ وَلَدِهِ عَنْهُ ، وَالْوَالِدُ نَفْسُهُ مَجْزِيٌّ بِمَا صَنَعَ لَا تَدْفَعُ عَنْهُ شَفَاعَةُ
أَبِيهِ شَيْئًا ، وَلَا دَخَلَ لِلْعَمَلِقَاتِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، كَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ الْمَعَارِجِ
عَنْ مَوْقِفِ النَّاسِ مِنْ أَقْرَبَائِهِمْ : « وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا . يُبْصَرُونَهُمْ
يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ .
وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ . وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ » .

وفي سورة عَبَسَ : « فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ . يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ
أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ
شَأْنٌ يُغْنِيهِ » .

خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ :

قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : رَجُلٌ مِنَ الْبَادِيَةِ ، اسْمُهُ :
الْوَارِثُ بْنُ عَمْرٍو ، فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ أَنَّ امْرَأَتَهُ حُبْلَى ، وَأَنَّ بِلَادَهُ مُجْدِبَةٌ ،
وَيُودُّ أَنْ يَعْرِفَ مِنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

(١) مَاذَا تَلِدُ امْرَأَتُهُ ؟

(٢) وَمَتَى يَنْزِلُ الْغَيْثُ بِبِلَادِهِ ؟

(٣) وَمَتَى يَمُوتُ ؟ وَقَدْ عَرَفَ مَتَى وُلِدَ ؟

(٤) وَمَاذَا يَعْمَلُ غَدًا ؟ بَعْدَ أَنْ أَدْرَكَ مَا عَمِلَ الْيَوْمَ .

(٥) وَمَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ ؟

فَأَنْزَلَ اللَّهُ : « إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ . . . » مُخْبِرًا أَنَّ هَذِهِ
الْأُمُورَ الْخَمْسَةَ لَا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ ، لَا مَلَكٌ وَلَا نَبِيٌّ وَلَا وَلِيٌّ ؛
أُولَئِكَ : عِلْمُ السَّاعَةِ : وَالسَّاعَةُ هِيَ الْوَقْتُ الَّذِي حَدَّدَهُ اللَّهُ لِمُحَاسَبَةِ النَّاسِ .
هِيَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ ، قَالَ تَعَالَى : « يَسْأَلُونَكَ ^(١) عَنْ السَّاعَةِ

(١) سورة النازعات .

أَيَّانَ مُرْسَاها ، فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَها ، إلى رَبِّكَ مُنْتَهَاها ، إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَخْشَاها . كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَوْمِها لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاها .

ثانيها : إِنْزَالُ الْمَطَرِ : وَالْمَطَرُ هُوَ الْمَاءُ الَّذِي يَنْهَمِرُ مِنَ السَّحَابِ الَّذِي يَتَكَوَّنُ مِنَ الْبُخَارِ . فَتَصِيرُهُ بُرُودَةُ الْجَوِّ كَثِيفًا ، ثُمَّ تَسُوقُهُ الرِّيَّاحُ هُنَا وَهَنَاكَ ، فَيُغِيثُ اللَّهُ بِهِ أَهْلَ الْأَرْضِ ، فَتَنْسُقَى الْحَيَوَانَاتُ ، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ أَلْوَانًا مِنَ الثَّمَرَاتِ . وَلَا يَنْزِلُ الْغَيْثُ إِلَّا بِقُدْرَةِ اللَّهِ ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَتَى يَنْزِلُ ؟ وَلَا فِي أَيِّ بُقْعَةٍ يَسْقُطُ ؟

ثالثها : عِلْمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ :

وَالرَّحِمُ : هُوَ مَكَانُ اسْتِقْرَارِ الْجَنِينِ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ ، يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ ، فَهُوَ الْبَيْضَةُ بِالنِّسْبَةِ لِلطَّيْرِ ، وَالْحَبَّةُ بِالنِّسْبَةِ لِلنباتِ ، وَالرَّحِمُ بِالنِّسْبَةِ لِلْحَيَوَانِ . وَاللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَغَيْرِها مِنَ الْأَجِنَّةِ لَا يُشَارِكُهُ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ ، فَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَعْلَمُ إِذَا كَانَ الْجَنِينُ ذَكَرًا أَمْ أُنْثَى !!

رابعها : مَعْرِفَةُ الْمُسْتَقْبَلِ :

يَجْهَلُ الْإِنْسَانُ جَهْلًا تَامًا مَا يَقَعُ عَلَيْهِ ، أَوْ مَا يَحْدُثُ لَهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ . يَسْتَوِي فِي هَذَا الْجَهْلِ جَمِيعُ النَّاسِ ، الذَّاكِرُ مِنْهُمْ وَالنَّاسِي ، وَالْفَقِيهُ وَغَيْرُ الْفَقِيهِ ، وَضَارِبُ الْوَدْعِ وَصَاحِبُ الرَّمْلِ ، وَمَنْ لَهُ عِلْمٌ بِالنُّجُومِ وَمَوَاقِعِها . وَمَنْ الْعَبَثُ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِنْسَانٌ لِوَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ

لَيَعْرِفَ مَا كَتَبَتْ لَهُ الْأَقْدَارُ : مِنْ شَقَاوَةٍ وَسَعَادَةٍ ، أَوْ فَقْرٍ وَغِنًى !
وَلَوْ كَانَ وَاحِدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ يَعْلَمُ شَيْئًا لَكَانَ الْأَنْبِيَاءُ أُولَى النَّاسِ
بِهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ ! وَالْوَاقِعُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي اخْتَصَّ بِعِلْمِ ذَلِكَ ؟

خَامِسُهَا : مَكَانُ الْمَوْتِ :

قَدْ يُوَادُّ الشَّخْصُ فِي السُّودَانِ ، وَتَكُونُ نِهَائَتُهُ فِي قُطْرٍ آخَرَ ،
فِي الْحِجَازِ أَوْ فِي مِصْرٍ مِثْلًا . . . إلخ . وَهَذِهِ النَّهَايَةُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ
يَعْرِفَهَا ، وَلَيْسَ مِنَ الْخَيْرِ لَهُ مَعْرِفَتُهَا ، إِذْ لَوْ عَرَفَ أَحَدٌ مَكَانَ
مَوْتِهِ لَشَغَلَتْهُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْوَاجِبَاتِ .

هَذِهِ هِيَ الْأُمُورُ الْخَمْسَةُ الَّتِي امْتَنَأَ اللَّهُ بِعِلْمِهَا ، وَأَخْفَاهَا عَنْ
الْخَلَائِقِ جَمِيعًا .

٧ - مِنْ صِفَاتِ الرَّسُولِ

«لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ
حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٣٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا
فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٣٩) .»

(سورة التوبة)

شرح التعابير والمفردات

عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ	:	شَدِيدٌ عَلَى نَفْسِهِ مَا تُتْلَقُونَ مِنْ مَكْرُوهِ .
فَإِنْ تَوَلَّوْا	:	فَإِنْ أَعْرَضُوا .
حَسْبِيَ اللَّهُ	:	أَعْتَصِمُ بِاللَّهِ وَخَدَهُ ، وَهُوَ مَا لَا ذِي وَمُلْجَى .

توضيح المعنى

آخِرُ الْقُرْآنِ نَزُولًا — كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ — هَاتَانِ الْآيَتَانِ مِنْ
سُورَةِ بَرَاءةٍ . وَتَعَرَّضَ الْآيَةُ الْأُولَى مِنْهُمَا لِبَعْضِ صِفَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، وَتَذَكَّرُ هَذِهِ النُّعْمَةُ الْكُبْرَى الَّتِي مَنَحَهَا اللَّهُ لِلْعَرَبِ خَاصَّةً وَلِلنَّاسِ
عَامَةً : نِعْمَةُ إِرْسَالِ الرَّسُولِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَلَمْ يَتَّخِذْهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَلَا

مِنَ الْجِنَّ ، لِأَنَّهُمَا مِنْ طَبِيعَةٍ تَخْتَلِفُ عَنِ الْبَشَرِ . إِذْ لَوْ كَانَ مِنْ عَالَمِ
الْمَلَائِكَةِ أَوْ مِنْ عَالَمِ الْجِنَّ لَصَعُبَ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَتَلَقَّوْا مِنْهُ أَحْكَامَ
اللَّهِ ، وَأَمَّا أَمَكَّنَ أَنْ يَلْجَأَ إِلَيْهِ النَّاسُ يُحَادِثُونَهُ فِي شُؤْنِهِمُ الْخَاصَّةَ ،
وَيَسْتَعِينُونَ بِهِ فِي حُلِّ مُشْكَلاتِهِمْ .

وَرَدَ فِي سِيرَتِهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنَّهُ كَانَ يَخَافُ وَيَرْتَعِدُ ،
وَيَتَصَبَّبُ جَبِينُهُ عَرَقًا فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ ، كُلَّمَا نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ
بِالْوَحْيِ . وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ طَبِيعَةَ الْبَشَرِ لَا تَحْتَمِلُ طَبِيعَةَ الْمَلَائِكَةِ .

وَجَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ،
وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي
مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، فَأَنَا خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ مِنْ خِيَارٍ » .

ومن صفاته عليه السلام :

(١) أَنَّهُ أَبٌ لِلْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا ، يَأْلَمُ أَشَدَّ الْأَلَمِ إِنْ أَصَابَهُمْ ضَرَرٌ ،
أَوْ نَزَلَتْ بِهِمْ كَارِثَةٌ . وَيَشُقُّ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخَلَ بَعْضُهُمُ النَّارَ ،
كَأَنَّهُ يَحْرِصُ أَكْثَرَ الْحَرِصِ عَلَى أَنْ يَحُوزُوا خَيْرَ الدُّنْيَا وَنَعِيمَ
الْآخِرَةِ .

(٢) وَالنَّبِيُّ شَدِيدُ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ بِالْمُؤْمِنِينَ الصَّغِيرِ مِنْهُمْ وَالْكَبِيرِ ،

العَظِيمِ وَالْحَقِيرِ . قَالَ شَوْقِي رَحْمَةَ اللَّهِ :
وَإِذَا رَحِمْتَ فَأَنْتَ أُمُّ أَوَّابٍ هَذَانِ فِي الدُّنْيَا هُمَا الرَّحْمَاءُ

أَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَّةُ :

فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَذْكُرُ لِنَبِيِّهِ فِيهَا أَنَّهُ إِذَا مَا انْصَرَفَ قَوْمُهُ
عَنْ قَبُولِ دَعْوَتِهِ ، وَتَوَلَّوْا عَنِ الْإِهْتِدَاءِ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ — فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ
يَسْتَعِينَ بِرَبِّهِ لِيُعِينَهُ عَلَيْهِمْ ، وَيَكْفِيَهُ أَمْرَهُمْ ، فَهُوَ الرَّبُّ الْمَعْبُودُ إِلَيْهِ
الْمُلْجَأُ ، وَعَلَيْهِ التَّوَكُّلُ . وَعَلَيْنَا نَحْنُ أَنْ نَقْتَدِيَ بِهِ — عَلَيْهِ السَّلَامُ —
فِي ذَلِكَ .

(١) دَعَاءُ :

جَاءَ فِي نَوَادِرِ الْأُصُولِ عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ قَالَ عَشْرَ كَلِمَاتٍ عِنْدَ دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ، كَفَاهُ اللَّهُ
مَا أَمَّهُ ، خَمْسٌ لِلدُّنْيَا وَخَمْسٌ لِلْآخِرَةِ :

حَسْبِيَ اللَّهُ لِدِينِي .

حَسْبِيَ اللَّهُ لِدُنْيَايَ .

حَسْبِيَ اللَّهُ لِمَا أَهَمَّنِي .

حَسْبِيَ اللَّهُ لِمَنْ بَغَى عَلَيَّ .

حَسْبِيَ اللَّهُ لِمَنْ حَسَدَنِي .

حَسْبِيَ اللَّهُ لِمَنْ كَادَنِي بِسُوءٍ .

حُسَيْنِ اللَّهِ عِنْدَ مَسْأَلَةِ الْقَبْرِ
حُسَيْنِ اللَّهِ عِنْدَ الْمِيزَانِ .
حُسَيْنِ اللَّهِ عِنْدَ الصِّرَاطِ .
حُسَيْنِ اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ «

٨ - تِجَارَةٌ رَابِحَةٌ

« إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ، فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٠) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١١) . »
(سورة التوبة)

شرح التعابير والمفردات

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ : بَدَلَ الْمُؤْمِنُونَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَتَاهُمْ رَبُّهُمْ بِالْجَنَّةِ .
فَاسْتَبْشِرُوا : فَافْرَحُوا

بَيْعَةُ الْعَقْبَةِ الثَّانِيَةِ

فِي عَامِ ٦٢٢ مِيلَادِيَّةٍ ، وَقَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ الرَّسُولُ وَصَحْبُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ بِعَامٍ وَاحِدٍ ، قَدِمَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ حَاجِّينَ الْبَيْتِ « الْكَعْبَةِ الْمُشْرِفَةِ » حَرَسَهَا اللَّهُ . وَكَانَ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الْوُفُودِ خَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا وَامْرَأَتَانِ . فَاتَّصَلَ النَّبِيُّ بِهِمْ سِرًّا وَوَعَدَهُمْ أَنْ يَلْقَاهُمْ عِنْدَ الْعَقْبَةِ (١) .

وَأَقْبَلَ النَّبِيُّ — يُرَافِقُهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ — فِي جَوْفِ اللَّيْلِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي وَعَدَهُمْ فِيهِ . وَأَشَارَ عَلَيْهِمُ الْعَبَّاسُ أَنْ يَتَكَلَّمُ مِنْهُمْ وَاحِدٌ ، وَلَا يُطِيلَ الْكَلَامَ ، فَإِنَّ الْمَشْرِكِينَ عَلَيْهِمْ عَيْنًا تُرَاقِبُهُمْ ، وَإِنْ يَعْلَمُوا بِهِمْ يَفْضَحُوا أَمْرَهُمْ . وَتَكَلَّمَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ مِنْ هَذَا الْوَفْدِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ (٢) — فَقَالَ لِلرَّسُولِ : « اشْتَرِطْ لِرَبِّكَ وَلِنَفْسِكَ » . فَقَالَ النَّبِيُّ : « أَشْتَرِطُ لِرَبِّي أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَشْتَرِطُ لِنَفْسِي أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ » . قَالَ : « فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ . فَمَا لَنَا ؟ » قَالَ : « الْجَنَّةُ » . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : « رِبْحَ الْبَيْعِ ، لَا نَقِيلُ وَلَا نَسْتَقِيلُ ! ! »

(١) الْعَقْبَةُ : مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنْ مَكَّةَ .

(٢) كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ .

فَنَزَلَتِ الْآيَةُ : « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ . . . »

وَالْآيَةُ تَأْمُرُ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا أَنْ يَبْذُلُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَأَمْوَالَهُمْ مِنْ أَجْلِ الدِّفَاعِ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ يُضَحُّونَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِهِ أَنْ يُعْلَى مِنْ شَأْنِهِمْ ، وَيُجْزَلَ لَهُمُ الثَّوَابُ فَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ الَّتِي أَعَدَّهَا لَهُمْ . وَذِكْرُ هَذَا الْوَعْدِ فِي كُلِّ مِنَ الْإِنْجِيلِ وَالتَّوْرَةِ وَالْقُرْآنِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْجِهَادَ مِنْ أَرْفَعِ الْعِبَادَاتِ شَأْنًا ، وَأَجْلَهَا مَكَانَةً ، لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْقَاتِلِ وَالْمَقْتُولِ ، كَمَا صَوَّرَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُجَاهِدِينَ : « يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَيَقْتُلُونَ وَيُقَتَّلُونَ » كُلُّهُمْ فِي الْأَجْرِ وَالْمَثُوبَةِ سَوَاءٌ . وَلَيْسَ أَحَدٌ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ! ! لِأَنَّهُ لَا يَرْجِعُ عَنْ وَعْدِهِ ، وَلَا يَنْقُضُ عَهْدَهُ ، فَهَنِيئًا لِمَنْ يُقَاتِلُ بِنَفْسِهِ ، وَيَجُودُ بِمَالِهِ فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ .

هَذِهِ هِيَ الْمُبَايَعَةُ الَّتِي أَمْتَدَحَ اللَّهُ بِهَا الْمُبَايِعِينَ ، وَذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ كَمَا صَوَّرَتْهُ الْآيَةُ .

أَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَةُ فَقَدْ سَأَلَتْ تِسْعَةَ أَوْصَافٍ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَخْلَصُوا الْأَعْمَالَ لِلَّهِ ، وَبَاعُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ :

(١) التَّائِبُونَ : الرَّاجِعُونَ عَنْ كُلِّ مَا فِيهِ تَقْصِيرٌ إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ .

(٢) العابدون : المداومون على عبادته لا يشركون معه غيره .

(٣) الحامدون : الذين يحمّدون الله في كلّ حالٍ ، روى عن السيدة عائشة رضي الله عنها . قالت : كان النبي (ص) إذا أصابه من الأمر ما يسره قال : « الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات » ، وإذا أتاه من الأمر ما يكرهه قال : « الحمد لله على كلّ حال » .

(٤) السائحون : المرتحلون في جهات الأرض طلباً للعلم ، أو تعلم الصناعات ، أو من أجل الدرس والتعرف لأحوال الأمم للعبرة والتبصر . أو « السائحون » الصائمون .

(٥) ، (٦) : الراكعون ، الساجدون : المحافظون على صلواتهم .

(٧) ، (٨) : الآمرون بالمعروف والنّاهون عن المنكر : الدّاعون لأعمال الخير ، والنّاهون عن كلّ ما يخالف أوامر الشرع .

(٩) المحافظون لحُدود الله : المقيمون لشرائع الله مع المحافظة عليها في أنفسهم وفيمن يتولّون أمره من الرعايا والأبناء . هذه هي الأوصاف الحميدة التي وصف الله بها عباده المخلصين ، ثم بشّرهم بالفوز والفلاح في الدنيا والآخرة .

قال ابنُ الوردي في لامِيَّته المشهُورة في التهذيب :

وَاتَّقِ اللَّهَ فَتَقْوَى اللَّهَ مَا جَاوَزْتَ قَلْبَ امْرِئٍ إِلَّا وَصَلَ
لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرُقًا بَطْلًا إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ الْبَطْلُ

من الأخلاق الإسلامية

لأمير الشعراء أحمد شوقي

وَالْعِلْمُ لَا مَا تَرْفَعُ الْأَحْلَامُ	الْمُلْكُ وَالذُّوْلَاتُ مَا يَبْنِي الْقَنَا
حَتَّى يَحُوطَ جَانِبَيْهِ حُسَامُ	وَالْحَقُّ لَيْسَ وَإِنْ عَلَا بِمُؤَيَّدِ
وَمَشَى يُحِيطُ بِهِ قَنَا وَسِهَامُ	خَطَّ النَّبِيُّ بِرَاحَتَيْهِ خَنْدَقًا
عِزٌّ لَكُمْ وَوَقَايَةٌ وَسَلَامُ	يَا مَعْشَرَ الْإِسْلَامِ فِي أُسْطُولِكُمْ
وَقُوَى وَأَتَمَّ فِي الطَّرِيقِ نِيَامُ	سَيْلُ الْمَمَالِكِ جَارِفٌ مِنْ شِدَّةِ
وَالجِدُّ رُوحٌ مِنْهُ وَالْإِقْدَامُ	حُبُّ السِّيَادَةِ مِنْ شِمَائِلِ دِينِكُمْ
رَجَعَتْ إِلَى آيَاتِهِ الْأَقْوَامُ	وَالْعِلْمُ مِنْ آيَاتِهِ الْكُبْرَى إِذَا
عَرَفَ الْبَنُونَ الْمَجْدَ كَيْفَ يُرَامُ	لَوْ تُقَرِّئُونَ صِغَارَكُمْ تَارِيخَهُ

٩ - سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا !

«وَلَقَدْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا
وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠) وَالَّذِي نَزَّلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ
تُخْرَجُونَ (١١) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمُ
مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِيَتَسَوَّوْا عَلَى ظُهُورِهِ
ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا
سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣)
وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤) .»

(سورة الزخرف)

شرح التعابير والمفردات

جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا :	جعلها لكم مُمَهَّدة ، كأنها فراش الطِّفْلِ .
سُبُلًا :	طُرُقًا
فَأَنْشَرْنَا :	فَأَحْيَيْنَا .
مُتَرَيْنَ :	مُسْتَطِيعِينَ وَقَادِرِينَ عَلَى خَلْقِ مِثْلِهِ .

توضيح المعنى

نَسْتَدِلُّ بِالصَّنْعَةِ عَلَى صَانِعِهَا الَّذِي أَوْجَدَهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُن . والاستدلال بالصَّنْعَةِ عَلَى الصَّانِعِ أَمْرٌ يُؤْمِنُ بِهِ كُلُّ مُفَكِّرٍ وَعَاقِلٍ ، وَلَا يُنْكِرُهُ إِلَّا مُكَابِرٌ أَوْ جَاهِلٌ . وهذه الآيات تَسُوقُ لَنَا اعْتِرَافَ أَوْلَئِكَ الْمُعَانِدِينَ مِنْ رِجَالِ مَكَّةَ ، حِينَما يُبَلِّغُ إِلَيْهِمْ هَذَا السُّؤَالُ : مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ؟ والإجابة صريحةٌ وواضحةٌ كُلُّ الوُضُوحِ : خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ! فَالْخَالِقُ هُوَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ ، « لِأَنَّ هَذَا النِّظَامَ الْمُحَيَّرَ لِلْعُقُولِ ، الَّذِي نَشَاهِدُهُ فِي حَرَكَاتِ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ : الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَدَثَ بِمَجَرَّدِ الصَّدْفَةِ . . . لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْوُجُودِ خَاضِعٌ لِنِظَامٍ دَقِيقٍ ، وَقَوَانِينٍ مُعَيَّنَةٍ أَوْجَدَتْهَا إِرَادَةُ عَجَبِيَّةٍ ، وَقُدْرَةُ بَالِغَةٍ » .

عَالَمُ السَّمَاءِ

والسَّمَاءُ عَالَمٌ مَلِيٌّ بِالْحَيَاةِ وَالْحَرَكَةِ ، هُوَ هَذَا الْكَوْنُ الَّذِي فَوْقَ رُءُوسِنَا ، تَدُورُ فِيهِ الْكَوَاكِبُ السَّيَّارَةُ الَّتِي أَقْسَمَ اللَّهُ بِهَا فِي سُورَةِ التَّكْوِيرِ : « فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ، الْجَوَارِي الْكُنَّسِ . . . » وَقَدْ بَنَاهَا اللَّهُ بِنَاءً مُحْكَمًا ، وَرَفَعَهَا مِنْ غَيْرِ عَمَدٍ وَجَعَلَهَا تَزِينُ عَالَمَهَا الَّذِي تَدُورُ فِيهِ ، مُرْتَبِطَةٌ ، مُتَمَاسِكَةٌ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، كَمَا تَرْتَبِطُ أَجْزَاءُ الشَّجَرَةِ الْوَاحِدَةِ . وَطَبَقَاتُ السَّمَاءِ سَبْعٌ كَمَا وَرَدَ فِي سُورَةِ الْمُلْكِ . قَالَ تَعَالَى : « الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ » .

عَالَمُ الْأَرْضِ

أَمَّا عَالَمُ الْأَرْضِ فَهُوَ عَالَمُنَا الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ . وَالْأَرْضُ هِيَ هَذَا الْكَوْكَبُ الَّذِي انفصل^(١) مِنَ السَّمَاءِ ، وَبَسَطَهُ الْبَارِي بِقُدْرَتِهِ ، وَأَوْدَعَ فِيهِ الْأَرْزَاقَ وَالنَّبَاتَ ، وَبَثَّ فِيهِ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ أَشْكَالًا وَأَنْوَاعًا ، وَجَعَلَ فِيهَا الْجِبَالَ أَوْتَادًا ، وَشَقَّ فِيهَا سُبُلًا فِجَاجًا ، وَأَجْرَى فِيهَا الْأَنْهَارَ

(١) جاء في سورة الأنبياء : - « أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا » .

وَالْبَحَارَ ، وَفَجَّرَ فِيهَا الْعُيُونُ مِنَ الْأَحْجَارِ . تَفْجِيرًا يَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ ،
وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ .

« وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ
جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ^(١) » .

الماء

وَمِنْ دَلَائِلِ قُدْرَةِ اللَّهِ أَنَّهُ أَنْزَلَ الْمَاءَ مِنَ السَّحَابِ الَّذِي يُحْيِي
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَيُعِيدُ إِلَيْهَا شَبَابَهَا وَبَهْجَتَهَا بَعْدَ مَا كَانَتْ مُجْدِبَةً
قَاحِلَةً أَشْبَهَ مَا تَكُونُ بِالْجُبَّةِ الْهَامِدَةِ .

اعترافُ أهلِ مكة ...

وَاعْتِرَافُ أَهْلِ مَكَّةَ بِأَنَّ خَالِقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ —
يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ تَهْتَدِي إِلَيْهِ النُّفُوسُ بِدَافِعِ فِطْرَتِهَا ، وَلَكِنَّهَا
تَحِيدُ عَنْهُ تَقْلِيدًا وَمُحَاكَاةً . وَمُنْذُ أَنْ أَخَذَ اللَّهُ ذُرِّيَّاتِ بَنِي آدَمَ مِنْ
ظُهُورِهِمْ أَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنَّهُ الْخَالِقُ ، فَاعْتَرَفُوا لَهُ بِذَلِكَ . جَاءَ فِي سُورَةِ
الْأَعْرَافِ (الْآيَةُ ١٧١) : « وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ
ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى شَهِدْنَا أَنْ
تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ » .

(١) سورة الرعد .

فلا عتراف بوجود الخالق طُبعت عليه النفوس ، وجُبِلَتْ عليه القلوب .
وهذه دلائلُ وحْدانية الله ووجوده وبراهين قُدْرته وجَبَرُوتِه ، تنطِقُ
بها الأَكوان ، أفلا يكونُ من الانحراف البغيض أن يُشْرِكَ النَّاسَ مَعَ
خَالِقِهِمْ مَعْبُودًا غَيْرَهُ ؟ ! كما قال مُشْرِكُو مَكَّةَ دِفَاعًا عَنْ عِبَادَةِ
الأصنام : « مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ^(١) » . . .
إنه — ولا شك — ضَلَالٌ ما بعده ضَلَالٌ !!

كذلك تخرجون !!

وكما خلق الله هذه المَظَاهِرَ الكونية في العالمين : عَالَمِ السَّمَاءِ
وعَالَمِ الْأَرْضِ — يَتِمُّ بَعْثُكُمْ مِنَ الْقُبُورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُحَاسِبُكُمْ رَبُّكُمْ
حِسَابًا دَقِيقًا ؛ وليس أَمْرُ الْبَعْثِ بِأَصْعَبَ مِنْ بَدْءِ الْخَلْقِ ، ذَلِكَ أَنَّ
الَّذِي قَدَّرَ عَلَى خَلْقِ الْكَائِنَاتِ ، لَا يَمْجِزُهُ أَنْ يَمِيدَهَا إِلَى الْحَيَاةِ
مَرَّةً أُخْرَى .

وَمِنْ مَظَاهِيرِ هَذِهِ الْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ . أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلْقَ الْإِنْسَانِ
وَالْحَيَوَانَ وَالطَّيْرِ وَالنَّبَاتِ أَزْوَاجًا : ذُكُورًا وَإِنَاثًا ؛ وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ
يَكُونَ وَجُودُ الْأُنْثَى بِجَانِبِ الذَّكَرِ بِفِعْلِ الْمُصَادَفَةِ ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ
خَلْقُهُمَا مَنَسُوبًا إِلَى صَانِعٍ قَدِيرٍ عَالِمٍ بِكُلِّ شَيْءٍ :
قال بعض العلماء : « إِنْ وَجُودَ الْكَائِنَاتِ كُلُّهَا مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى

(١) سورة الزمر آية رقم (٢) .

يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِي الْوُجُودِ خَالِقًا مُرِيدًا أَبَدَعَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَجَعَلَ
لِكُلِّ نَوْعٍ مِنْهَا صِفَاتٍ وَطِبَائِعَ تُمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِهِ ^(١) . »

من نعم الله :

وَمِنْ عَظِيمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ سَخَّرَ لَهُمْ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ وَأَبَاحَ
لَهُمْ لَحُومَهَا وَأَلْبَانَهَا يَنْتَفِعُونَ بِهَا كَالْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالضَّأْنِ وَالْمَعَزِ ، وَجَعَلَهَا
وَسِيلَةً لِأَسْفَارِهِمْ يَنْتَقِلُونَ عَلَيْهَا مِنْ بَلَدَةٍ إِلَى أُخْرَى ، فَتُسَهِّلَ عَلَيْهِمْ
كَثِيرًا مِنْ مَشَاقِّ الْحَيَاةِ .

وَكَذَلِكَ سَخَّرَ اللَّهُ لِلْإِنْسَانِ الْفَلَكَ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبِحَارِ ، وَهَذَاهُ بِعَقْلِهِ
إِلَى اخْتِرَاعِ الطَّائِرَةِ وَالْقِطَارِ وَالسَّيَّارَةِ وَكُلِّ مَا أَنْتَجَهُ عَقْلُ الْبَشَرِ مِنْ
قَنَابِلِ ذَرِّيَّةٍ وَهَيْدَرُوجِينِيَّةٍ وَصَوَارِيخٍ — كُلُّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى عِنَايَةِ اللَّهِ
بِالْإِنْسَانِ وَعَلَى عَظِيمِ نِعْمَتِهِ . . .

« وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ
الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ » ^(٢) ، وَالْإِنْسَانُ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَلِهَذَا الْمَجْتَمَعُ الَّذِي
يَعِيشُ فِيهِ بِاسْتِخْدَامِهِ هَذِهِ الْمَخْتَرَعَاتِ فِي التَّدْمِيرِ وَالْهَلَاكِ !!

(١) روح الدين الإسلامى .

(٢) سورة إبراهيم .

هَدَى النَّبِيُّ فِي السَّفَرِ

قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَرَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ مُسَافِرًا قَالَ : « اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ . سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ . وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى ، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى . اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا . وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ ، وَكَآبَةِ (١) الْمَنْظَرِ ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ ، وَإِذَا رَجَعَ قَالَ : « آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ » (٢) .

(١) كآبة المنظر : تغير النفس وحزنها .

(٢) رواه مسلم .

صُنْعُ رَبِّي

هَذِهِ الدُّنْيَا الْجَمِيلَةُ بَيْنَ قَفَرٍ وَخَمِيلَةٍ
وَسَمَوَاتٍ صَقِيلَةٍ كُلُّهَا مِنْ صُنْعِ رَبِّي

النُّجُومُ الزَّاهِرَاتُ وَالْبُدُورُ النَّيِّرَاتُ
وَالضُّحَى وَالظُّلُمَاتُ كُلُّهَا مِنْ صُنْعِ رَبِّي

جَمَلُ الْكَوْنِ بِبَحْرِ وَبَوَادِ تَحْتَ نَهْرٍ
وَبِأَشْجَارٍ وَزَهْرٍ كُلُّهَا مِنْ صُنْعِ رَبِّي

وَحَبَاهُ بِجِبَالٍ كَاسِيَاتٍ بِالْجَلَالِ
مُشْرِقَاتٍ بِالْجَمَالِ كُلُّهَا مِنْ صُنْعِ رَبِّي

قَالَ لِلْإِنْسَانِ قَلْبُ طَبَقَ الْأَرْضِ وَنَقَبُ
تُعْطِكَ الْحَبَّ وَتُخْصِبُ كُلُّ هَذَا فَضْلُ رَبِّي

مَعَانِي الْكَلِمَاتِ

وحباه : وخصه

نَقَبَ : ابْحَثْ وَفْتَشْ

تعطك الحب : تخرج لك أطيب الثمرات .

١٠ - السَّاعَةُ آتِيَةٌ

« وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٣) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ (٥) . »
(سورة سبأ)

شرح التعابير والمفردات

لا يَعْزُبُ	:	لا يَغِيبُ
مِثْقَالُ ذَرَّةٍ	:	وَزْنُ ذَرَّةٍ
سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ	:	أَرَادُوا أَنْ يُعْجِزُونَا .

توضيح المعنى

يُظَنُّ الْمُشْرِكُونَ أَنَّ قِيَامَ السَّاعَةِ ضَرْبٌ مِنَ الْعَبَثِ وَأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَجْمَعَ الْخَلَائِقَ مَرَّةً أُخْرَى ، وَيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ

القيامة . والقرآنُ في كثير من آياته يُثبت أن هذا اليوم آتٍ لا محالة ، ويُقرّر كذلك أن إنكار البشر لهذا دليلٌ على قُصور عقولهم ، وعَدَم تبصّرهم في آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم .

ولشِدَّة تعلق الكفار بهذا الوهم يحسّبون أن هذا اليوم بعيدٌ ، ولكنه قريب وقريب . قال الله تعالى : « سأل سائلٌ بعذاب واقع . للكافرين ليس له دافع . من الله ذى المعارج . تعرّج الملائكة والروح إليه في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنةٍ ، فأصبر صبراً جميلاً . إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً » . وآيات سورة سبأ التى نعرّضها عليك - أيها التلميذ - تناقش إنكار الكفار لهذا اليوم . « قل بلى ودرى لتأتينكم » :

غير أن موعِد إتيانها لا يعلمه أحدٌ سوى عَلام الغيوب ، الذى لا يَغيبُ عن علمه وزنُ ذرّةٍ في السّموات ولا في الأرض ، وإذا كان كلُّ صَغِيرٍ وكَبِيرٍ ، وكلُّ جَلِيلٍ وحَقِيرٍ ، مُثَبَّتاً في اللوح يعلمه الله بتفاصيله ، فإن إنكاركم لإتيان الساعة ، مُجرّد مُكابرة وعنادٍ . ولتعلّموا أن الساعة آتيةٌ فيها يُحاسَب النَّاسُ ، فينال كلٌّ من المؤمنين والكافر جزاءه .

والَّذين آمنوا برسالة ربّهم التى جاءهم بها نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وامتثلوا الأوامر فإنّ الله يَغفرُ لهم ما يَصْدُرُ عنهم من زَلّات لا يخلو البشر منها ؛ ولهم رِزق حَسَنٌ في جنات النعيم . والَّذين كفروا برسالة النّبي ، وحاولوا أن يُبطلوا أدلّتها ، وأن يُكذّبوا القرآن ،

وَأَنْ يَدْعُوا النَّاسَ إِلَى الزُّهْدِ فِيهِ ، يَفْعَلُونَ كُلَّ ذَلِكَ بِغَرَضٍ أَنْ يُعْجِزُونَا
عَنْ إِدْرَاكَهُمْ ، فَلَنْ يُغَيِّرَ ذَلِكَ مِنَ الْوَاقِعِ شَيْئًا ، بَلْ إِنَّهُمْ سَيُحَاسِبُونَ
أَشَدَّ الْحِسَابِ ، وَيُعَاقَبُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ أَفْظَعَ عِقَابٍ .

قال تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا . فِيمَ أَنْتَ مِنْ
ذِكْرِهَا . إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا . إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا . كَانَهُمْ
يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ^(١) » .

وَتَمَّ مُحَاسَبَةُ الْإِنْسَانِ عَلَى مَا اقْتَرَفَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَالْمُحْسِنُ يَلْقَى
جَزَاءَ إِحْسَانِهِ ، وَالْمُسِيءُ يَنَالُ جَزَاءَ إِسَاءَتِهِ . فَلَا مَهْرَبَ وَلَا مَنَاجَى
لِأَحَدٍ . وَالسَّعْدَاءُ الْمَحْظُوظُونَ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ الدَّقِيقَةِ الْحَرْجَةُ هُمْ أَوْلَئِكَ
الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَقِفُوا عِنْدَ حَدِّ الْإِيمَانِ وَحَدِّهِ . بَلْ اتَّبَعُوا لَأَنْفُسِهِمْ
طَرِيقَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ .

« يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ . فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ^(٢) » .

(١) سورة النازعات .

(٢) سورة الزلزلة .

(٢)

من الهدى النبوىّ

الحديث الأول

مَأْدِبَةُ اللَّهِ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدِبَةُ اللَّهِ ، فَاقْبَلُوا مِنْ مَأْدِبَتِهِ

مَا اسْتَطَعْتُمْ . إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللَّهِ ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ ،

وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ

اتَّبَعَهُ ، لَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ ، وَلَا يَعْوجُّ فَيُقْوَمَ ، وَلَا يَخْلُقُ

عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ » .

معاني الكلمات

مَأْدِبَةٌ

: مَائِدَةٌ .

لَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ : لَا يَمِيلُ عَنِ الْحَقِّ فَيُطْلَبَ مِنْهُ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ .

يَخْلُقُ

: يَبْنِي ، وَتَذْهَبُ جِدَّتُهُ .

الشرح

للقرآنِ أعظم الأثر في تهذيبِ النفوس ، وتقويمِ الأخلاقِ ، وهو في غايةِ الكمالِ ، ونهايةِ الجمالِ والجلالِ ، نزل به الروح الأمين « جبريل » على محمد صلى الله عليه وسلم فكان مُعْجَزَتَهُ الخالدة على مرِّ الدُّهور . لغتُهُ عذبةٌ فخمةٌ ، وأسلوبه جميلٌ فيَّاضٌ يأسِرُ أذهانَ المُستمعين ، بمعانيهِ الرَّائعةِ وسِحْرِهِ العجيبِ ، حارٌّ في وصفه العربُ ، فمنهم من قال : إِنَّهُ شِعْرٌ ، ومنهم من قال : إِنَّهُ سِحْرٌ ، ومنهم من سجد^(١) لبلاغته وفصاحته .

وفي هذا الحديث : يُشَبِّهُهُ الرسولُ عليه السلام بالمائدة التي جَمَعَتْ صُنُوفَ الطعامِ ، ينال منها القاصي والداني ، فيجدُ كُلٌّ لذيذٍ ومُمْتِعٍ ، فهو الثور ، وهو الشِّفاء ، وهو العِصْمَةُ ، وهو النِّجَاة . لا يَضِلُّ من تمسك به ، ولا يمل من أكثرَ النظر فيه ، أو حاول التردُّد عليه .

قال أمير الشعراء عنه :

جاءَ النبيونَ بالآياتِ فانصَرَمَتْ وجئتنا بجديدٍ غيرِ مُنصرمِ
آياته كُلِّما طال المدى جُدُّ يزِيدُهِنَّ جمالُ العِتيقِ والقِدمِ

(١) يقال إن أعرابياً سمع قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » فسجد ، فلما

سئل عن سبب ذلك قال : سجدت لبلاغته ، ما يقول هذا بشر .

وقال شاعر السودان السيد أحمد محمد صالح :
أَعْجَزَ النَّاسُ مِنْهُ قَوْلُ رَصِينٍ وَجَمَالُ الْأَدَاءِ وَالْأُسْلُوبُ
هُوَ فِي الْعَالَمِينَ آيَتُكَ الْكُبْرَى وَبُرْهَانُكَ الْقَوِيُّ الْمَصِيبُ

(١) رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَفْتَدِيَ أَسِيرًا كَانَ صَدِيقًا لَهُ وَقَعَ فِي قَبْضَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ حِينَئِذٍ يَقْرَأُ سُورَةَ « الطُّور » وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ : « إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ » قَالَ جُبَيْرُ : خَشِيتُ أَنْ يُدْرِكَنِي الْعَذَابُ ؛ فَأَسْلَمَ .

(٢) وَرَوَى أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمَغِيرَةَ سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ (ص) قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَجْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » . فَقَالَ : « وَاللَّهِ إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً ، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ ، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ ، مَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ .

من معجزات القرآن العلمية

وفي القرآن مُعْجَزَاتٌ عِلْمِيَّةٌ كَثِيرَةٌ نَذَكُرُ مِنْهَا مَا جَاءَ عَنْ تَكْوِينِ السَّحَابِ ، وَالْعَوَامِلِ الْمُسَبِّبَةِ لَهُ . جَاءَ فِي سُورَةِ النُّورِ : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ

الله يُزْجِي^(١) سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ^(٢) بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا^(٣) ، فَتَرَى
الْوَدْقَ^(٤) يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ
بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ
يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ . يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً
لِأُولِي الْأَبْصَارِ .

فالسَّحَابُ يَتَكَوَّنُ مِنْ تَبَخُّرِ الْمَاءِ الَّذِي يَحْدُثُ نَتِيجَةً لِأَشْعَةِ
الشَّمْسِ الضَّارِبَةِ عَلَى الْبَحَارِ ، وَيَبْدُو مُتَفَرِّقًا فَيَجْمَعُ اللهُ بَعْضَهُ بِهَذِهِ
الرِّيَّاحِ ، وَتَتَكَثَّفُ السُّحُبُ لِبُرُودَةِ الْجَوِّ ، فَيَنْهَمِرُ الْمَاءُ مَطَرًا غَزِيرًا .

(١) يزجي : يسوق .

(٢) يؤلف بينه : يجمع بينه .

(٣) ركاماً : متراكماً بعضه فوق بعض .

(٤) الودق : المطر .

الحديث الثانى

الأسوة الحسنة

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « أَنَّهُ جَاءَ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ ، فَقَالَ : إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ص) يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ ^(١) » .

الشرح

عرفت من دراساتك الإسلامية الماضية ، أن الحجَّ ركنٌ من أركانِ الإسلام الخمسة ، وقد فُرض في السنة السادسة بعد الهجرة . قال تعالى : « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ، وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ، وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ، وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » ، تعرف من هاتين الآيتين مكانَ البيتِ ووُجُوبَ الحجِّ إليه ، وقد بيَّن الرسولُ عليه السَّلام أنه واجبٌ في العمر مرةً واحدةً .

(١) يلاحظ أن هذا الحديث رواية لعمل الرسول فقط .

الطَّوْفُ كَالصَّلَاةِ :

وَضَعَتِ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِلْحَجِّ أَرْكَانًا وَفَرَائِضَ ، وَجَعَلَتْ مِنْ أَرْكَانِ الْحَجِّ الطَّوْفَ وَاشْتَرَطَتْ فِيهِ مَا يُشْتَرَطُ فِي الصَّلَاةِ ، مِنْ الطَّهَارَةِ ، وَسِتْرِ الْعَوْرَةِ ، وَلَكِنَّمَا أَبَاحَتْ الْكَلَامَ فِيهِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ « الطَّوْفُ صَلَاةٌ إِلَّا أَنْ اللَّهَ تَعَالَى أَحَلَّ فِيهِ الْكَلَامَ ، فَمَنْ تَكَلَّمَ فَلَا يَتَكَلَّمَ إِلَّا بِخَيْرٍ » ، وَمِنْ شُرُوطِ الطَّوْفِ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ ، وَأَنْ يَبْدَأَ مِنَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ .

الْقُدْوَةُ الصَّالِحَةُ :

لَقَدْ عَرَفْتُ مَا فَعَلَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي طَوَافِهِ حِينَ قَبَّلَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ اقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْعَى وَرَاءَ الْأَسْبَابِ الَّتِي أُوجِبَتْ ذَلِكَ الْإِكْرَامَ ، وَهَذَا التَّعْظِيمَ لَذَلِكَ الْحَجَرِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ كَجَمِيعِ الْخَلُوقَاتِ ، وَلَكِنَّهُ رَأَى الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبَلُهُ فَقَبَّلَهُ اقْتِدَاءً بِهِ وَسَعِيًّا وَرَاءَ الْهَدْيِ الْقُرْآنِيِّ : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » .

مَا يَسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ

(١) شِدَّةُ حِرْصِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْاِقْتِدَاءِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَعْمَلُ ، سِوَا مَا ظَهَرَ لَهُ السَّبَبُ أَمْ لَمْ يَظْهَرَ .

(٢) يجب على المسلم أن يؤدى كل ما ثبتَ عن طريق الكتاب
أو السنة ، وإن لم تظهر له الأسباب والعِلل في أدائه ، ثقةً منه بأن
الشرع حكيم لا يأمر إلا بما فيه صلاح الفرد والمجموعة في
المعاش والمعاد .

الحديث الثالث

الحَلَفُ الْفَاجِرُ

قال النبي (ص) : من حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ
امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ^(١) كَتَى اللَّهُ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ .

الشرح

الناس بحكم اختلاطهم ، واشتباك مصالحهم يحتاجون إلى بعض : التاجرُ
يحتاج إلى التاجر ، والعاملُ يحتاج إلى العامل ، والتلميذُ يحتاج إلى التلميذ ،
ليعينه على ما تعسر عليه من أمور دنياه ، وكذلك جميع الطبقات من
أهل الحرف والصناعات في المدن والقرى .

الناسُ للناس من بدو وحاضرةٍ بعضٌ لبعضٍ وإن لم يشعروا خدماً
فإذا دعت الحاجة بعض الأفراد إلى أن يستلف من أخيه مبلغاً قليلاً
أو كثيراً ليقضى به بعض أوطاره ثم يرده إليه ، ولم يكن بينهما شاهدٌ
أو رهان مقبوض أو كتابة « مستند » فالخلق المهذب ، والتربية الراقية ،
والضمير اليقظ ، كل ذلك يستلزم أن ينفي المدين بوعده ، ويعطى صاحب

(١) فاجر : كاذب .

الدين حقه من غير مظل إذا كان غنياً ، أو نكران إذا كان معسراً ،
ولكن ربما استبد الشُّح بمرضى النفوس ودعاهم إلى النكران حيث لا شاهدَ
ولا رهنَ ، ولا كتابةً ، بل ربما يتجاوزون النكران إلى القسم بالله
كذباً إذا ما رفع الدائنُ أمرَه إلى القاضى ، وطلب منه إثبات حقه وعجز
لعدم وجود البينة لديه ، ولم يبق أمام القاضى إلا أن يوجه إلى المنكر
اليمين — إذ البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر — فحلف
بالله كاذباً ليتخلص من الحق الذى عليه ؛ أو كان المدينُ أفصحَ لساناً
من الدائن وأقوى حجة منه ؛ أو كان المحامى الذى وكله أكثرَ علماً ،
وأعظم تأثيراً من محامى خصمه ، فظن القاضى أن الحقَّ معه فحكَّم له على
خصمه ، والمدين يدرك تماماً أن الحقيقة خلاف الحكم ، لذلك فلا يجوز له
أن يقطع مالَ دائنِه بناء على اليمين الفاجرة ، أو الحجة البالغة ، وهو
يعلم علم اليقين أنه استدان من ذلك الخصم ما استعان به على
قضاء حوائجه . مثل هذا الشخص سيلقى اللهَ ، وهو عليه غضبانُ
لأن حكم الحاكم لا يحال حراماً ولا يحرم حلالاً ، وإن ربح فى هذه
الدنيا فهو فى الآخرة من الخاسرين ، كما أخبرنا الرسول عليه السلام فى
هذا الحديث .

الحديث الرابع

عاقبة الإنفاق

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ فِيهِ الْعِبَادُ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا .

الشرح

الإسلامُ يدعو للكرم :

الإسلامُ يدعو إلى البذل والإنفاق ، ويمقت البخل والإمساك ، ويحبُّ أن تكونَ النفوسُ سَخِيَّةً ، والأَكْفُ نَدِيَّةً . ويحبُّذُ المُسَارعةَ إلى دَوَاعِي الإحسانِ وَوُجُوهِ البرِّ وتَقْدِيمِ الخَيْرِ إلى النَّاسِ ، صَبَاحَ مساءً ، سِرًّا وَعِلَانِيَةً .

« الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعِلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ^(١) » .

(١) سورة البقرة .

مِنْ وَاجِبَاتِ الْمُسْلِمِ :

من الواجب على المسلم أن يَقْتَصِدَ في مَطَالِبِهِ الشَّخْصِيَّةِ مِنْ غَيْرِ تَقْتِيرٍ ، وَأَنْ يُشْرِكَ غَيْرَهُ فِيمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَأَنْ يَجْعَلَ فِي ثَرْوَتِهِ حَقًّا لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ؛ وَفِي الْإِسْلَامِ تَشْرِيعَاتٌ كَثِيرَةٌ تَرْمِي لِتَحْقِيقِ الْأَهْدَافِ الْعَالِيَةِ الَّتِي تُهَيِّئُ النَّفُوسَ لِفِعْلِ الْخَيْرِ ، وَإِسْدَاءِ الْعَوْنِ ، وَصُنْعِ الْمَعْرُوفِ ، حَتَّى لِيَعْرِزَ عَلَيْهَا أَنْ تَرَى شَخْصًا مَمْرَقَ الثِّيَابِ ، أَوْ حَافِيَ الْقَدَمَيْنِ ، أَوْ جَوْعَانَ ، يُرْسَلُ عَيْنِيهِ إِلَى صُنُوفِ الْأَطْعَمَةِ ، ثُمَّ يَرُدُّهُ الْحَرَمَانُ وَهُوَ حَسِيرٌ .

صِنْفَانِ مِنَ النَّاسِ :

الصَّنْفُ الْأَوَّلُ : الَّذِينَ يَشَاهِدُونَ مِثْلَ هَذِهِ الصُّورِ الْمُؤَلِّمَةِ ، وَلَا يَنْفَقُونَ بِقَدْرِ اسْتَطَاعَتِهِمْ لِإِنْقَاضِ مَا يُمْكِنُ إِنْقَاضُهُ ، وَيُمْسِكُونَ أَمْوَالَهُمْ عَنْ مُوَاسَاةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ؛ أَوْلَيْكَ يَدْعُو الْمَلَأُ عَلَيْهِمْ بِالْتَلَفِ .

الصَّنْفُ الثَّانِي : الَّذِينَ يَتَنَافَسُونَ فِي الْخَيْرِ ، وَيَتَسَابِقُونَ إِلَى افْتِتَاحِ مَشْرُوعَاتِهِ النَّافِعَةِ ، وَلَا يَقْعُدُ بِهِمُ الْحِرْصُ عَنْ مُسَاعَدَةِ الْعَجَزَةِ وَالْبُؤْسَاءِ ؛ أَوْلَيْكَ يَدْعُو الْمَلَأُ لَهُمْ بِالْخَلْفِ . قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ سَبَأٍ : « وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ » .

رَحْمَةٌ وَعِظَةٌ وَتَنَافُسٌ :

لَقَدْ حَدَّثَ أَنَّ رَأَى الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَةً مِنَ الْبُؤْسَاءِ

فَشَقَّ عَلَيْهِ مَرَأَهُمْ فَجَمَعَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ خَطَبَهُمْ فَذَكَرَهُمْ بِحَقِّ الْإِنْسَانِ ،
عَلَى الْإِنْسَانِ ، وَخَوَّفَهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَمَا زَالَ بِهِمْ حَتَّى جَمَعُوا
مَا أَغْنَى وَسْتَرَ .

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا فِي صَدْرِ النَّهَارِ ^(١) عِنْدَ
رَسُولِ اللَّهِ ، فَجَاءَهُ قَوْمٌ عُرَاةٌ ، مُجْتَابِي ^(٢) النَّعَارِ ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ ،
فَتَمَعَّرَ ^(٣) وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا رَأَى بِهِمْ الْفَاقَةَ ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ
بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ،
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً : وَاتَّقُوا اللَّهَ
الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا » .
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ » .

ثُمَّ قَالَ : لِيَتَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ ، مِنْ دِرْهَمِهِ ، مِنْ ثَوْبِهِ ،
مِنْ صَاعِ بُرٍّ ، مِنْ صَاعِ تَمَرِهِ ، حَتَّى قَالَ : وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ .
فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بَصُرَةً كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا ، بَلْ لَقَدْ
عَجَزَتْ ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمِينَ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ ...
وَحَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ ^(٤) ثُمَّ قَالَ :

(١) صدر النهار : أول النهار .

(٢) مجتأبي النمار : مشقوق الملابس .

(٣) تمعر وجهه : تغير وحزن .

(٤) كأنه مذهبة : صفحة مطلية بالذهب .

« مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ . »

مَاذَا تَسْتَفِيدُ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ ؟

(١) الدَّعْوَةُ إِلَى التَّنَافُسِ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ ، وَالتَّسَابُقِ فِي مَيْدَانِهِ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ التَّقَالِيدِ الْحَسَنَةِ .

(٢) التَّحْذِيرُ مِنْ سَنِّ التَّقَالِيدِ السَّيِّئَةِ ، وَالْعَادَاتِ الْقَبِيحَةِ حَتَّى لَا يَنْجَرِفَ فِيهَا بَعْضُ الْمُقَلِّدِينَ فَيَقَعُونَ فِي شُرُورِهَا وَمَنَاعِبِهَا .

الحديث الخامس

لك من مالك ثلاث

قال النبي (ص) :

يقول العبدُ مَالِي مَالِي ، وَإِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ : مَا أَكَلَ
فَأَفْنَى ، أَوْ لَبَسَ فَأَبْلَى ، أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ
فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ .

الشرح

حُبُّ التَّمَلُّكِ مِنَ الْغَرَائِزِ الْإِنْسَانِيَةِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ الْهُرُوبُ مِنْهَا وَالتَّخَلِّي
عنها بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ ، وَأَهْمُ مَا يَتَمَيَّزُ بِهِ التَّشْرِيعُ الْإِسْلَامِيُّ هُوَ
أَخْذُهُ لِلْسَّكَاةِ الْبَشَرِيِّ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ فِطْرَةٍ ، فَلَا يُحَاوِلُ قَسْرَهُ
عَلَى مَا لَيْسَ مِنْ طَبْعِهِ كَمَا تَفْعَلُ بَعْضُ النِّظَرِيَّاتِ الْحَدِيثَةِ « فِطْرَةَ اللَّهِ
الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا » ، وَلَكِنَّهُ يَعْمِدُ إِلَى تَهْدِيبِ الْغَرَائِزِ ، وَالشُّمُوءِ بِهَا
إِلَى أَعْدٍ حَدٍّ مُمَكِّنٍ ، دُونَ أَنْ يَكْبِتَهَا .

مَالِي مَالِي :

هذا هُوَ نِدَاءُ الْغَرِيزَةِ ، وَعَلَيْهِ يُقَرَّرُ الْإِسْلَامُ حَقَّ الْمِلْكِيَةِ الْفَرْدِيَّةِ

للمال ، وهو التصرف فيه والانتفاع به بالطرق المشروعة ، فإذا تجاوزها كَانَ لولى السفیه أو الجماعة أَنْ يَحْجِزُوا عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ إِنْ بَدَّدَ أَمْوَالَهُ وَصَارَ فَقِيرًا كَانَ خَطَرًا عَلَى الْمُجْتَمَعِ ، قَالَ تَعَالَى : « وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ مِنْهَا وَلَا كُوسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا » .

وَالسُّفَهَاءُ هُمُ الْمُسْرِفُونَ الْمُبْذِرُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي غَيْرِ الْوُجُوهِ الْمَعْقُولَةِ ، إِمَّا لِنَفْسَادِ أَخْلَاقِهِمْ ، أَوْ لِسُوءِ تَدْبِيرِهِمْ .

مَالِكٌ مِنْ مَالِكَ :

رَبَّمَا يَفْخَرُ الْغَنِيُّ بِمَالِهِ ، وَيَتَعَاطَمُ الثَّرِيُّ عَلَى إِخْوَانِهِ ، وَيَشْمَخُ الْمُسِيرُ عَلَى بَنِي وَطَنِهِ ، كَمَا فَعَلَ قَارُونُ مِنْ قَبْلِ ، حَيْثُ كَانَ لَا يَهْتَمُّ بِمَا يُصِيبُ قَوْمَهُ مِنْ ظَلَمِ فِرْعَوْنَ ، وَلَا يَفْكُرُ إِلَّا فِي نَفْسِهِ وَتَحْقِيقِ أَغْرَاضِهِ . وَلَوْ فَكَّرَ الْغَنِيُّ قَلِيلًا لَعَلِمَ أَنَّهُ لَوْ مَلَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، فَلَيْسَ لَهُ مِنْ هَذَا الْمُلْكِ الطَّوِيلِ الْعَرِيزِ إِلَّا هَذِهِ الثَّلَاثُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ .

(١) مَا أَنْفَقَهُ فِي طَعَامِ قَفْنِي . (٢) مَا اشْتَرَى بِهِ ثَوْبًا قَبْلِي .

(٣) مَا قَدَّمَهُ مِنْ إِحْسَانٍ قَبْلِي .

وَمَا سِوَى هَذِهِ الثَّلَاثِ فَهُوَ لِلنَّاسِ وَلَيْسَ لِمَالِكِهِ .

ما يستفاد من الحديث

أَنَّ مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ الْإِنْسَانُ وَيُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كإِنشاءِ الْمَسَاجِدِ
وَالْمَدَارِسِ وَالْمَلَاجِيِّ وَالْمُسْتَشْفِيَّاتِ وَجَمِيعِ وُجُوهِ الْخَيْرِ ، لَا يَنْقُصُ مِنْ مَالِهِ
شَيْئًا بَلْ يَزِيدُ وَيَبْقَى كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « مِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ
وَاللَّهُ يَضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ » .

الحديث السادس

الحِلمُ سَيِّدُ الْأَخْلَاقِ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ (ص) :
هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أَحَدٍ ؟ قَالَ : لَقَدْ
لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُهُ مِنْهُمْ يَوْمَ
الْعَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ ، فَلَمْ
يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِ ،
فَلَمْ أَسْتَفِيقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، وَإِذَا
أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
فَنَادَانِي فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ،
وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ ، فَسَلِّمْ عَلَى
ثُمَّ قَالَ : « يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ
لَكَ ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إِلَيْكَ ، لِتَأْمُرَنِي
بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ ؟ ! إِنَّ شِئْتَ أَطَبَقْتُ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ ،

فَقَالَ النَّبِيُّ (ص) أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ ، مَنْ
يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا .

معاني الكلمات

الأخشبان : الجبلان المُحيطان بِمَكَّة .
المفرد : « الأخشب » .
قرن الثعالب : موضع بالحجاز يحرم منه أهل نجد .

الشرح

صُورٌ مِنْ شِدَائِدِ أَحَدٍ :

(١) فِي وَقْعَةٍ أَحَدٍ قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا وَقَفْتُ مَوْقِفًا
أَغِيظَ إِلَيَّ مِنْ هَذَا ؛ وَذَلِكَ لِمَا رَأَى مِنْ بَيْنِ قَتْلَى الْمُسْلِمِينَ عَمَهُ
حِزَّةً ، وَقَدْ بُقِرَ بَطْنُهُ ، وَمُثِّلَ بِهِ ؛ وَقَالَ أَيْضًا : « وَاللَّهِ لَئِنْ
أُظْهِرَنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَنُمَثِّلَنَّهُمْ مُثْلَةً لَمْ يَمَثِلْهَا
أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ » . وَفِي ذَلِكَ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَإِنْ عَاقَبْتُمْ
فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ » .
فَصَبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَهَى عَنِ الْمُثْلَةِ ؛ كَمَا
مَرَّ بِكَ .

(٢) وفي وقعة أُحُدْ شَجَّتْ جِبَّةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ ، وَدَخَلَتْ حَلَقَتَانِ مِنَ الْمَغْفَرِ الَّذِي يَسْتُرُ بِهِ وَجْهَهُ فِي وَجْنَتِهِ ، فَانْتَزَعَهُمَا أَبُو عَبِيدَةَ عَامِرُ بْنُ الْجَرَّاحِ حَتَّى سَقَطَتْ مِنْ ذَلِكَ ثَنِيَّتَاهُ ، فَصَارَ أَهْتَمَ ؛ وَعَلَى مَرْتَفَعٍ مِنْ جَبَلٍ أَحَدُ تَرَسِّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُونَهُ وَالْفُؤَا حَوَّلَهُ ، يَحْمُوهُ وَيَذُودُونَ عَنْهُ ، وَهَذَا أَخَذَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ يَرْمِي بِالنَّبْلِ دُونَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَأَقْبَلَ أَبُو دُجَانَةَ وَجَعَلَ نَفْسَهُ تَرُسًا لَهُ وَالنَّبَالَ تَقَعُ عَلَى ظَهْرِهِ وَهُوَ يَقُولُ : « نَفْسِي دُونَ نَفْسِكَ ، وَعَيْنِي دُونَ عَيْنِكَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُودَّعٍ » .

(٣) وفي وقعة أُحُدِ دَمِيَّتْ إِصْبَعُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ : هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيَّتْ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ ؛ وَفِيهَا أَيْضًا هُزِمَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ نَصْرِ مُؤَزَّرٍ ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ خَالَفَ الرُّمَاءُ أَمْرَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ لَهُمْ : لَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ .

الرَّسُولُ يُجِيبُ عَائِشَةَ :

لِهَذِهِ الشَّدَائِدِ الَّتِي عَرَضْنَا بَعْضَهَا سَأَلَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ ؟ فَأَجَابَهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ لَقِيَ مِنْ قَوْمِهَا

قُرَيْشٍ أَذَى كَثِيرًا ، وَذَلِكَ فِي أُسْلُوبِ يَدُلُّ عَلَى الْكَثْرَةِ وَالتَّهْوِيلِ حَيْثُ قَالَ : « لَقِيتَ مَا لَقِيتُ » ، كَمَا تَقُولُ أَنْتَ عِنْدَمَا يَسْأَلُكَ تَلْمِيزٌ مِنْ مَدْرَسَتِكَ مَفَاجِرًا : هَلْ فِي مَدْرَسَتِكُمْ أَدْوَاتٌ كَمَا فِي مَدْرَسَتِنَا ؟ فَتُجِيبُهُ ، مَدْرَسَتُنَا فِيهَا مَا فِيهَا ، تُرِيدُ أَنْ مَا فِيهَا كَثِيرٌ لَا يُمَكِّنُ حَصْرُهُ .

الرَّسُولُ يَذْهَبُ لِلطَّائِفِ :

ثُمَّ شَرَعَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْصُّ عَلَى زَوْجِهِ أَصْعَبَ مَا لَقِيَ ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا عَرَضَ نَفْسَهُ فِي سُؤَالِ سَنَةِ عَشْرٍ مِنَ الْبَيْتَةِ بَعْدَ وَفَاةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ ، وَزَوْجِهِ خَدِيجَةَ عَلَى رِجَالٍ مِنْ أَكْبَارِ أَهْلِ الطَّائِفِ مِنْهُمْ عَبْدُ يَا لَيْلٍ وَجَمَاعَةٌ مِنْ عُظَمَاءِ ثَقِيفٍ ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ رَدًّا مُنْكَرًا ، وَأَغْرَوْا بِهِ السُّفَهَاءَ فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى تَخَضَّبَتْ نَعْلَاهُ بِالْدِّمَاءِ ، وَجَأَ مِنْهُمْ إِلَى حَائِطٍ لِابْنِ رَبِيعَةَ ثُمَّ أَخَذَ يَدْعُو .

الرَّسُولُ يَدْعُو شَاكِيًا مُتَضَرِّعًا إِلَى اللَّهِ :

« اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي ، وَقِلَّةَ حِيلَتِي ، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعِفِينَ ، وَأَنْتَ رَبِّي ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي !! إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي ، أَوْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَكَتْهُ أُمْرِي ، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي ، وَلَكِنْ عَافَيْتَكَ أَوْسَعُ لِي ، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ : مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ ، أَوْ تُحِلَّ عَلَيَّ سُخْطَكَ ؛ لَكَ

الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ » .

الرَّسُولَ يَذْهَبُ مُغَاضِبًا :

أَطْلَقَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الطَّائِفِ غَضَبَانِ لَا يَدْرِي
أَيْنَ يَتَوَجَّهُ مِنْ شِدَّةِ الْغَضَبِ ، وَلَمْ تَهْدَأْ تِلْكَ الثَّوْرَةُ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ
(مَوْضِعُ بَيْنِهِ وَبَيْنَ مَكَّةَ يَوْمَ وَلَيْلَةٍ) ، وَهُنَاكَ رَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا سَحَابَةٌ
أُظْلِمَتْ ، وَإِذَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تِلْكَ السَّحَابَةِ وَهُوَ يَقُولُ : « إِنَّ
اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ
مَلَكَ الْجِبَالِ » ، وَهُنَا قَالَ مَلَكُ الْجِبَالِ : « قَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي
بِأَمْرِكَ ، إِنَّ شَيْئًا أَطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ !! »

الرَّسُولَ يَعْفُو حِلْمًا :

أَجَابَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَلَكَ الْجِبَالِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ
رَأْفَتِهِ بِأُمَّتِهِ ، وَنِهَايَةِ رَحْمَتِهِ بِهَا : « بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ
أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » .

جَهَلَتْ قَوْمُهُ عَلَيْهِ فَانْغَضَى ، وَأَخُو الْحِلْمِ دَأْبُهُ^(١) الْإِغْضَاءُ

وَتَظْهَرُ الرَّحْمَةُ وَيَنْجَلِي الْحِلْمُ وَيَبْدُو الْعَفْوُ ، فِي تَرْكِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ الْإِذْنَ لِمَلَكِ الْجِبَالِ أَنْ يُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ ، وَفِي تَرْكِهِ الدُّعَاءَ
عَلَيْهِمْ بِالتَّدْمِيرِ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى ذَلِكَ ، وَعَلَيْهِ بِتَحْقِيقِ الْإِجَابَةِ ؛ وَلَكِنْ

(١) دَأْبُهُ الْإِغْضَاءُ : عَادَتُهُ الصَّفْحُ .

اللَّهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ أَرْسَلَ مُحَمَّدًا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ
رَّحِيمٌ . فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ
رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ » .

سؤال :

١ - ماذا قال أميرُ الشعراء عن رحمة النبي وعظمته ؟

الحديثُ السَّابعُ

إِكْرَامُ الضَّيْفِ وَالْجَارِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص)
قَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا
أَوْ لِيَصْمُتْ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ
جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ .

الشَّرْحُ

فِي هَذَا الْحَدِيثِ ثَلَاثُ خِصَالٍ حَمِيدَةٍ ، يَدْعُو إِلَيْهَا الرَّسُولُ ،
وَيَجْعَلُهَا مِنْ عِلَامَةِ الْإِيمَانِ .

الْخِصْلَةُ الْأُولَى

الصَّمْتُ أَوْ قَوْلُ الْخَيْرِ :

وَتُعْتَبَرُ فَضِيلَةُ السَّكُوتِ عَنِ الْكَلَامِ بِمَا لَا خَيْرَ فِيهِ ، مِنْ أَجْلِ الْفَضَائِلِ
الَّتِي تُجَنَّبُ الْإِنْسَانُ كَثِيرًا مِنْ مَزَالِقِ الْهَلَاكِ . خَاصَّةً وَأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ
قَدْ تَسَيَّرَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ شَهْوَةُ الْكَلَامِ وَحُبُّ الثَّرَاةِ فَتَنْطَلِقُ أَلْسِنُهُمْ ،

وَتَخَوُّضُ فِيمَا يَمْنِيهَا وَمَا لَا يَمْنِيهَا ، وَلَا شَكَّ أَنَّهَا صِفَةٌ مَرْدُودَةٌ يَنْهَى عَنْهَا الدِّينَ ، فَمَنْ آتَى فِي نَفْسِهِ مَيْلًا لِلْكَذَّامِ الْبَاطِلِ فَلْيُقْلِعْ عَنْ ذَلِكَ . وَلْيَجْعَلْ مِنْ نَفْسِهِ عَلَى نَفْسِهِ رَقِيًّا ، يُحَاسِبُهَا إِنْ أَخْطَأَتْ ، وَيَمِيلُ بِهَا إِنْ انْخَرَفَتْ وَلِيَتَوَخَّ الْخَيْرَ ، وَلْيُرْشِدْ إِلَى الْمَعْرُوفِ ، وَلْيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، أَوْ يَنْقُلْ إِلَى النَّاسِ حَدِيثًا طَرِيفًا ، أَوْ فُكَاةً مُهَذَّبَةً تَنْشُرُهَا الصُّدُورُ ، وَتَرْتَاخُ بِهَا النَّفُوسُ . أَمَّا مَنْ يَرْغَبُ فِي التَّحَدُّثِ بِفَاحِشِ الْقَوْلِ ، وَعِبَارَاتِ السُّوءِ ، وَأَحَادِيثِ الضَّلَالَةِ كَالْخَوْضِ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ وَاسْتِباحَةِ لُحُومِهِمْ ، وَتَرْوِيجِ الْإِشَاعَاتِ بِالْبَاطِلِ ، فَلَنْ يَجْزِيَ عَلَيْهِ إِلَّا كُلُّ بَلَاءٍ مِنَ النَّاسِ ، وَكُلُّ مَقْتٍ وَعَذَابٍ مِنَ اللَّهِ .

الخلاصة الثانية

إكرامُ الجار :

الجارُّ هو الذى يُجاورك فى مَسْكَنِكَ ، أو فى حَقْلِكَ أو فى مَصْنَعِكَ ، أو فى مَتَجَرِّكَ ، أو يَجْلِسُ إلى جِوارِكَ فى حُجْرَةِ الدَّرْسِ ، أو فى مَقْعَدِ الطَّائِرَةِ أو القِطَارِ أو التَّرَامِ . . . والجارُّ عضوٌ له أَهْمِيَّةٌ فى مُجْتَمَعِكَ الذى تَعِيشُ فيه ، لأنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَلْجَأَ إِلَيْهِ ، فَتَطْلُبُ مَعُونَتَهُ عَلَى أَعْيَاءِ الْحَيَاةِ حُلُولِهَا وَمُرَّهَا . فَإِذَا مَرِضْتَ عَادَكَ وَجَلَسَ إِلَى جَانِبِكَ يُخَفِّفُ عَنْكَ آلامَ الْمَرَضِ وَإِذَا أَصَابَتْكَ حَادِثَةٌ ، كَأَنْ تَكُونَ فَقَدْتَ عَزِيزًا

لديك ، تَرَادُ يَخْفُ لِمُؤَاسَاتِكَ وَيُتَعِبُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِ تَخْفِيفِ الْمُصِيبَةِ عَنْكَ — فَمِنْ وَاجِبِكَ حِينَئِذٍ أَنْ تَسْعَى جَاهِدًا فِي إِزَالَةِ الضَّرَرِ عَنْهُ وَتَخْفِيفِ الْمَصَآئِبِ عَلَيْهِ إِنْ حَلَّتْ بِهِ مُصِيبَةٌ ، وَمِشَارَكَةٍ فِي سُرُورِهِ وَأَفْرَاحِهِ إِنْ نَالَهُ سُرُورٌ أَوْ فَرَحٌ ؛ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَمْنَعَكَ اخْتِلَافُ الدِّينِ مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَى جَارِكَ غَيْرِ الْمُسْلِمِ ، لِأَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حِينَمَا دَعَا إِلَى إِكْرَامِ الْجَارِ لَمْ يُخَصِّصْ جِوَارَ الْمُسْلِمِ وَحْدَهُ .

وقد بَيَّنَّ الرسولُ عليه السلام في أحاديث كثيرة حُقوقَ الجارِ ، ووضَّحَ واجبَ الشخصِ نحوَ جاره ، ونحنُ هُنَا نكتفي بِنَقْلِ الحديثِ الآتِي الَّذِي يَرُسمُ فِيهِ الرَّسُولُ صُورَةً مَفصَّلَةً وَاضِحَةً لِهَذِهِ الْحُقُوقِ : قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

« أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ ؟ إِذَا اسْتَعَانَ بِكَ أَعْنَتَهُ ، وَإِنْ اسْتَنْصَرَكَ نَصَرْتَهُ ، وَإِنْ اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ ، وَإِنْ مَرِضَ عُدْتَهُ ، وَإِنْ مَاتَ شَيَّعْتَ جَنَازَتَهُ ، وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَأْتَهُ ، وَإِنْ أَصَابَهُ مُصِيبَةٌ عَزَّيْتَهُ ، وَلَا تَسْتِطِلْ عَلَيْهِ بِالْبِنَاءِ ، فَتَحْجُبَ عَنْهُ الرِّيحُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، وَإِذَا اشْتَرَيْتَ فَاكِهَةً فَأَهْدِ لَهُ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأَدْخِلْهَا سِرًّا ، وَلَا يَخْرُجْ بِهَا وَلَدُكَ لِيَغِیْظَ بِهَا وَلَدَهُ وَلَا تُؤْذِهِ بِقُتَارٍ ^(١) قَدْرِكَ إِلَّا أَنْ تَعْرِفَ لَهُ مِنْهَا » .

(١) قُتَارُ الْقَدَرِ : رَائِحَةُ الطَّعَامِ تَنْبَعُثُ مِنْ « الْحَلَةِ » .

ثم قال :

« أتدرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ ؟ — وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ — لَا يُبْلَغُ حَقُّ
الْجَارِ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ . »

الخصلة الثالثة

إكرامُ الضَّيْفِ :

وإكرامُ الضَّيْفِ يَكُونُ بِحُسْنِ اسْتِقْبَالِهِ عِنْدَ قُدُومِهِ ، فَيَتَلَقَّى الْمَرْءُ
ضَيْفَهُ هَاشًا بَاشًا ، ثُمَّ يَذْهَبُ بِهِ إِلَى حُجْرَةِ الْاسْتِقْبَالِ أَوْ إِلَى « خَلْوَةِ
الضَّيْفَانِ » فَيُجْلِسُهُ عَلَى مَقْعَدٍ مُرِيحٍ ، أَوْ سَرِيرٍ وَثِيرٍ ، وَيَقْدِّمُ لَهُ خَيْرَ
مَا عِنْدَهُ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ ، وَإِنْ كَانَ الْمُضَيِّفُ فِي سَعَةٍ مِنَ الْعَيْشِ وَرَغَدٍ
مِنَ النَّعِيمِ ، وَكَانَ الضَّيْفُ مِنَ الْفُقَرَاءِ الْمُعْدَمِينَ ، فَإِنَّ مِنْ وَاجِبِ
الْمُضَيِّفِ حِينَئِذٍ أَنْ يَمُدَّ إِلَيْهِ يَدَ الْمَعُونَةِ وَيُودِّعَهُ كَمَا اسْتَقْبَلَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ .

وإكرامُ الضُّيُوفِ عَادَةٌ عُرِفَ بِهَا السُّودَانِيُّونَ جَمِيعًا ، وَخَصْلَةٌ اشْتَهَرَ
بِهَا أَجْدَادُنَا وَأَبَاؤُنَا مُنْذُ قَدِيمِ الزَّمَانِ ، وَكَثِيرًا مَا نَسْمَعُ قِصَصَ
الْكَرَمِ ، وَأَحَادِيثَ الضِّيَافَةِ تَتَنَاقَلُهَا الْأَلْسِنَةُ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ ،
وَمِنْ مَدِينَةٍ إِلَى أُخْرَى ، إِعْجَابًا بِمَنْ حَدَّثَ مِنْهُمْ ، وَتَقْدِيرًا لِنُفُوسِهِمْ
النَّبِيلَةَ ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّهَا عَادَةٌ عَرَبِيَّةٌ أَصِيلَةٌ ، وَصَّى بِهَا الْإِسْلَامُ ، وَدَعَا
إِلَى التَّمَسُّكِ بِهَا .

الضيافة الشرعية :

والضيافة الشرعية ثلاثة أيام ، وما زاد على ذلك فهو تفضل من المضيف ، يستحق عليه كل تقدير واحترام .
هذه هي الخصال الثلاث التي يستوجبها الإيمان بالله واليوم الآخر ، فاحرص عليها ، واستمسك بها حتى تنال ثواب الله مضاعفاً على ما تقدم من خيرات .

للمناقشة :

جاء في حديث عن النبي عليه السلام :
(١) ما زال جبريل يوصيني بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه .
وفي حديث آخر :

(٢) والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن !
قيل : ومن يا رسول الله ؟ قال :
الذي لا يأمن جاره بوائقه (شره) .

(١) اذكر بعض الشخصيات التي اشتهرت بالكرم ؟
(ب) وماذا تعرف من خبرها ؟

الحديث الثامن

مَنْ تَحِلُّ لَهُ الصَّدَقَةُ

رَوَى التِّرْمِذِيُّ قَالَ :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : (ص) :

« إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ لِغَنًى ، وَلَا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ ،

إِلَّا لِذِي فَقْرٍ مُدَقِّعٍ ، أَوْ غُرْمٍ مُفْطَعٍ . وَمَنْ سَأَلَ النَّاسَ

لِيُثْرِيَ بِهِ مَالَهُ كَانَ خُمُوشَةً فِي وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَرَضَفًا

يَأْكُلُهُ مِنْ جَهَنَّمَ ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيَقْلِلْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْثِرْ !

مَعَانِي الْكَلِمَاتِ

وَلَا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ : وَلَا لِذِي قُوَّةٍ ، مُكْتَمِلِ الْخَلْقَةِ جِسْمًا وَعَقْلًا .

مُدَقِّعٍ : أَدَقَعَهُ الْفَقْرُ ، أَلْصَقَ يَدَهُ بِالْدَقْمَاءِ « التَّرَابِ » .

غُرْمٍ : دَيْنٌ .

رَضَفًا : حِجَارَةً .

الشرح

لقد مرَّ بك في دروس الأحاديث النبوية ، أن الإسلام يدعُو كُلَّ من تمسك به إلى عزَّة النفس ، والترفع بها عن الدنِّيَّات ، وخيرٌ للمُسلم — إن كان غنياً — أن يُنفق على غيره ، من أن يُنفقَ عليه ، أو يعملَ بيده — إن كان صانعاً أو زارعاً — لينفعَ نفسه ، وغيره ، أو يُعينَ مَنْ هُوَ في حاجة إلى العون منه — بتوجيهه وإرشاده — إن لم يكن من ذوى الأموال أو الصناعات . والإسلامُ في كُلِّ هذه الخطُوات التي يرُسمُها ، يودُّ أن يرفعَ من شأن مُعتنقيه ، فلا يكونوا عالةً على مُجتمِعهم ، وأن يجعلَ مِنْهم أعضاء نافعين ، فلا يُصبحوا كلاً على غيرهم . وصاحب الإسلام يُقرِّر أن « اليد العليا » وهى التى تُمُدُّ يدَ المعونة إلى المحتاج « خيرٌ من اليد السفلى » ، وهى اليد المُعطاة . كما يُقرِّر في صراحة تامَّة : « أن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كُلِّ خير » .

وفي هذا الحديث يبين صاحبُ رسالة الإسلام أن مسألة الناس لا تحلُّ إلا لِرَجُلَيْن :

أحدهما : رَجُلٌ ذو فقرٍ شديد .

وثانيهما : صاحب دينٍ فظيع .

وغير هذين من الناس لا يحِلُّ له أن يتعرضَ للسؤالِ من الغير ،
وعليه أن يَرَبُّاً بنفسه ، وأن يترفعَ بها عن هذه الذلَّة البغيضة . وعلينا
نحن أن نهَبَ جماعاتٍ وأفراداً لمُسَاعَدَةِ البائسين من الرجال ومن
النساء ، وأن تصدق عليهم بما يُغْنِيهم عن ذل السؤال ، وأن نهَيَّ
لهم سبيل العمل الشريف ما داموا قادرين عليه . أما المرضى ، وذوو
العاهات الذين لا يستطيعون أن يُباشروا من الأعمال ما به يتمكنون من
دفع الضرر ، أو جلب المنفعة ، فإنَّ واجبَ المسلمين — حكومةً وشعباً —
أن يعملوا على تهيئة سُبُل الإنفاق عليهم ، وأن تنظم أموال الزكاة لِتُصرف
في حاجاتهم ومطالبهم إلى جانب ما يجودُّ به كُلُّ فردٍ حسبَ قدرته ،
من غير تكلفٍ أو مشقة .

وإذا استدان المرء من غيره ، وعجز عن سدادِ دينه ، فإن الإسلام قد
أباحَ له حينئذٍ — أن يكشف أمره لإخوانه المسلمين ، وأن يُبينَ لهم
حقيقة موقفه ، ليقوموا بسدادِ ماركبه من الدين .

ويُحرِّمُ صاحب الرسالة عليه السلام مسألة الناس على شخصين :

أحدهما : الغني .

وثانيهما : القوى ، ذو البنية السليمة .

وسبب التحريم واضحٌ بالنسبة لهما ، ذلك أن الغنيَّ في وفرةٍ من ماله ،
وما سؤاله في مثل هذه الحالة إلا دليلٌ على جشعه ، وعلامة على حرصه
في جمع المال . والسؤال من القوى ، القادر على العمل ، والكسب ،

دليل على استنামته إلى الراحة ، وخلوده إلى الكسل . ومماثلهما — وهما
بِأَلَانِ الناس — إِلَّا كَمَثَلِ الذُّبَابِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ مُسْتَقْدَرٍ ، وَيَنَالُ مِنْ
كُلِّ كَرِيهٍ ، ومع هذه الذلة التي رضا بها وخلدا إليها في العاجلة فإن
كَلَّا مِنْهُمَا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِي وَجْهِهِ خُمُوشَةٌ ، يَأْكُلُ الْجَمْرَ مِنْ
حِجَارَةٍ جَهَنَّمَ ، كما كان يَأْكُلُ الْمَالَ ظُلْمًا فِي الدُّنْيَا .

فمن شاء فليترفع بنفسه ، وليعيش عزيز النفس ! ومن شاء أن يستذل
نفسه أو يُرِيْقَ ماء وجهه فليفعل بعد أن بان له الحق ! ووضَّح له السبيل !

للمناقشة :

(١) ماذا تعرف عن هذه الجمعية الخيرية التي دعا إليها أحد الأطباء
من السودانيين للتخفيف عن مَرْضَى السِّل ؟

(٢) اذكر ما تعرفه من الأعمال المجيدة التي قام بها بعضُ الْمُحْسِنِينَ مِنْ
رجال قَرْيَتِكَ أو مَدِينَتِكَ .

(٣) هل اشتركت في عمل خيري ؟
وما هو الدور الذي قمت به في هذا العمل ؟

الحديث التاسع

أَعْمَالٌ لَا يَنْقَطِعُ ثَوَابُهَا

قال رَسُولُ اللَّهِ (ص) :

إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ

جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ ، يَدْعُو لَهُ .

الشرح

لا تخرجُ أعمالُ الإنسانِ عن واحدةٍ من اثنتين : إمَّا أن تكون أعمالاً
صالحةً ، وهي تلك التي جاءت حَسْبَ رَسَمِ الإسلامِ وقرر ، أو تكونَ
أعمالاً سيئةً ، وهي تلك التي جاءت مخالفةً لِمَا دعا إليه الإسلامُ . فَمَنْ
داوَمَ على صَلاته ، وكان بَرًّا بِوالديه ، كان مُستَحِقًّا لِثوابِ اللَّهِ . ومن
كان مُتَّبِعاً لِهَوَى النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ ، فلا يحافظُ على صَلاته ، ولا يُعاملُ
والديه مُعاملةً كَرِيمَةً ، كان مُسْتَحِقًّا لِعِقَابِ اللَّهِ .

وتتفاوتُ درَجَاتُ الثَّوَابِ ، بِنِسْبَةِ تَفَاوُتِ الأَعْمَالِ ، ذلك « أن من
سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، ومن

سَنَ سُنَّةٍ سَيِّئَةٍ فَعَلِيهِ وَزَرُّهَا وَوَزَرُ مِنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .
والنبي في هذا الحديث يُخَبِّرُنَا أَنَّ هُنَاكَ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا لَا يَنْقَطِعُ ثَوَابُهُ ،
بِاتِّهَاءِ حَيَاةِ الْمَرْءِ ، فَيَسْتَمِرُّ النَّفْعُ وَيَتَجَدَّدُ الثَّوَابُ مَا بَقِيَ هَذَا الْعَمَلُ .
والأعمال ثلاثة :

أولها الصَّدَقَةُ الْجَارِيَةُ :

وهي العمل الخالد الذي يُقِيمُهُ الْإِنْسَانُ ، فَيَنْتَفِعُ بِهِ الْأَحْيَاءُ مِنْ
بَعْدِهِ ، فَحَفَرُ الْبَيْتِ ، فِي الْقَرْيَةِ مَثَلًا ، وَمَدُّ أَنْبَابِ الْمِيَاهِ فِي الْمَدِينَةِ
إِلَى مَوَاضِعَ تَشْتَدُّ فِيهَا حَاجَةُ النَّاسِ إِلَيْهَا ، كَالْأَنْبَابِ الَّتِي مُدَّتْ
إِلَى مَقَابِرِ^(١) أُمِّ دُرْمَانَ — مِنَ النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ — لَا شَكَّ أَنَّهَا
عَمَلٌ جَلِيلٌ ، يَنْتَفِعُ بِهِ مُشَيِّعُو الْجَنَائِزِ ، فَيَسْتَظِلُّونَ مِنْ شِدَّةِ
الْحَرِّ بِذَلِكَ الْبِنَاءِ ، وَيَسْتَقُونَ ، وَيَتَوَضَّأُونَ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ الْغَزِيرِ الَّذِي
يَجْرِي فِي أَحْوَاضِهِ عَذْبًا نَمِيرًا . وَمِنْ أَمْثَلَةِ الصَّدَقَةِ الْجَارِيَةِ إِقَامَةُ الْمَسَاجِدِ
لِلصَّلَاةِ ، وَتَشْيِيدُ الْمَدَارِسِ لِلتَّعْلِيمِ ، وَبِنَاءُ الْمَنَازِلِ لِإِيْوَاءِ الْفُقَرَاءِ
وَالْمَسَاكِينِ .

ثانيها الْعِلْمُ النَّافِعُ :

وَمِنْ أَمْثَلَةِ ذَلِكَ مَا يَقُومُ بِهِ الْمُعَلِّمُونَ فِي تَرْبِيَةِ أَبْنَائِهِمْ ، فَمَا يَنْتَفِعُ بِهِ
تَلَامِيذُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ ، مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ تَصْدُرُ مِنْهُمْ ، وَمَا يَحْتَنِبُونَهُ

(١) إقامتها المحسن الجليل السيد عبد المنعم محمد — عليه رحمة الله .

من أعمال قبيحة نتيجة لِحَثِّ مُعَلِّمِهِمْ عَلَيْهِ ، أو تحذيرِهِمْ مِنْهُ يُثَابُّ عَلَيْهِ الْمُعَلِّمُونَ مَا دَاوَمَ التَّلَامِيذُ عَلَى ذَلِكَ .

وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْقِسْمِ مُؤَلَّفُو الْكُتُبِ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَوِ الْأُدْبَاءِ وَمُدَبِّجُو الْمَقَالَاتِ الْعَامِيَّةِ أَوِ الدِّينِيَّةِ أَوِ الْأَدْبِيَّةِ فِي الصُّحُفِ مِمَّا يَطَّلَعُ عَلَيْهِ الْقُرَّاءُ فَيُفِيدُونَ مِنْهُ كَثِيرًا مِنَ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ ، وَالْعَكْسُ يَحْدُثُ لِمَنْ دَبَّجَ بَيْرَاعِهِ مُقَالًا يَحْتُ فِيهِ عَلَى رَذِيلَةٍ ، أَوْ يَذُمُّ فِيهِ بَعْضَ الشَّخْصِيَّاتِ الْمُسَلِّمَةِ . . . يُعَاقِبُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَشَدِّ أَنْوَاعِ الْعِقَابِ مَا دَامَ ذَلِكَ الْمَقَالُ مُسَطَّرًا مَقْرُوءًا .

ثَالِثُهَا الْوَلَدُ الصَّالِحُ :

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْوَلَدَ غَرَسَ أَبِيهِ يَتَأَثَّرُ بِهِ مِنْ نَاحِيَةِ الْوَرِاثَةِ ، أَوْ مِنْ نَاحِيَةِ الْاِقْتِدَاءِ بِهِ فِي أَعْمَالِهِ .

وَيَنْشَأُ نَاشِئًا الْفَتِيَانِ مِنْهَا عَلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ أَبُوهُ^(١)

فَالرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ حِينَمَا يُرْبِيَانِ ابْنَهُمَا تَرْبِيَةً عَالِيَةً ، وَيَنْشَأُ الْوَلَدُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ ، وَالشِّمِّ الْحَمِيدَةِ ، كَانَ ذَلِكَ مَدْعَاةً لِأَنْ يُحْسِنَ إِلَيْهِمَا فِي حَالِ حَيَاتِهِمَا ، وَيَدْعُو لَهُمَا بَعْدَ مَوْتِهِمَا . وَدُعَاءُ الْوَلَدِ الصَّالِحِ — كَمَا جَاءَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ — عَمَلٌ لَا يَنْقُطِعُ ثَوَابُهُ مَا دَاوَمَ الْوَلَدُ عَلَى ذَلِكَ . وَقَدْ تَضَافَرَتِ الْآثَارُ مِنَ الرَّسُولِ عَلَى أَنْ التَّصَدَّقَ مِنَ

(١) لأبي العلاء المعري .

الْوَلَدِ الصَّالِحِ يَصِلُ نَفْعُهُ إِلَى الْمَيِّتِ مِنْ أَبَوَيْهِ أَيًّا كَانَ نَوْعُ هَذِهِ الصَّدَقَةِ .
رَوَى أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ كَانَ
لِي أَبَوَانِ ، أَبْرَهُمَا فِي حَيَاتِهِمَا ، فَكَيْفَ لِي بِبِرِّهِمَا بَعْدَ مَوْتِهِمَا ؟
فَقَالَ النَّبِيُّ : إِنََّّ مِنَ الْبِرِّ بَعْدَ الْبِرِّ ، أَنْ تَصِلَ لَهُمَا مَعَ صَلَاتِكَ . وَأَنْ
تَصُومَ لَهُمَا مَعَ صِيَامِكَ » .

وإِنَّمَا يَتَّصِلُ ثَوَابُ الْوَالِدِ وَيَتَجَدَّدُ مَا دَامَ الْوَلَدُ الصَّالِحُ مُسْتَمْسِكًا
بِذَلِكَ الْعَمَلِ وَمُتَشَبِّهًا بِهِ .

فَلْنَحْرِضْ عَلَى ذَلِكَ ، وَلْنَتَصَدَّقْ ، وَلْنَعْلَمْ ، وَلْنُحَسِّنِ التَّرْبِيَةَ لِلْأُجْيَالِ
الْمُقْبِلَةِ ، وَلْنَنْتَظِرْ بَعْدَ ذَلِكَ الثَّوَابَ مِنَ اللَّهِ ، « وَاللَّهُ لَا يَضِيعُ أَجْرَ
مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا » .

الحديثُ العاشرُ

الدِّينُ النَّصِيحَةُ

عَنْ أَبِي رُقَيَّْةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الدِّينُ النَّصِيحَةُ ، قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ : لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ .

الشرح

أبو رُقَيَّْةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ صَحَابِيُّ جَلِيلٌ كُنِيَ بِبَنْتِهِ رُقَيَّْةَ . أَسْلَمَ فِي السَّنَةِ الثَّاسِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ . كَانَ مِنْ أَشْهَرِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ، وَكَانَ فَاضِلًا سَمَحًا كَرِيمًا ، صَاحِبَ خُلُقٍ وَدِينٍ ، اشْتَرَكَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي غَزَوَاتِهِ ، وَكَانَ يُكْثِرُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ مُصَلِّيًّا أَوْ تَالِيًّا لِلْقُرْآنِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اشْتَرَى الْمَصَابِيحَ لِإِضَاءَةِ مَسْجِدِ الرَّسُولِ فِي الْمَدِينَةِ وَيُرْوَى أَنَّهُ لَمَّا أَخْضَرَهَا وَعَلَّقَهَا عَلَى سَوَارِي الْمَسْجِدِ فَأَضَاءَتْهَا قَالَ عَنْهُ الرَّسُولُ : نَوَّرْتَ مَسْجِدَنَا ، نَوَّرَ اللَّهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ لِي ابْنَةٌ لَزَوَّجْتُكَمَا ؛ فَقَالَ رَجُلٌ : أَنَا أَزَوَّجُهُ ابْنَتِي يَا رَسُولَ اللَّهِ . فزَوَّجَهُ إِيَّاهَا .

رَوَى هَذَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ مَقَالََةَ الرَّسُولِ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمُوجِزَةِ ،
ذَاتِ الْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ .

الدِّينَ النَّصِيحَةُ :

وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ عِمَادَ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ النَّصْحُ وَالتَّوْجِيهُ وَالْإِرْشَادُ .
وَلَمَّا سَأَلَ الصَّحَابَةُ — رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ — رَسُولَهُمْ عَمَّنْ يَكُونُ لَهُ النَّصْحُ
أَجَابَهُمْ بِقَوْلِهِ :

لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَعِلْمَتِهِمْ .

النَّصْحُ لِلَّهِ :

وَالنَّصْحُ لِلَّهِ ، مَعْنَاهُ : الْإِيمَانُ بِهِ ، وَالْإِخْلَاصُ لَهُ ، وَالْقِيَامُ بِمَا أَمَرَ
بِهِ ، وَالْإِبْتِعَادُ عَمَّا نَهَى عَنْهُ . وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْإِبْتِعَادُ عَنْ أَصْدِقَاءِ
السُّوءِ ، وَأَقْرَانِ الرَّذِيلَةِ لِأَنَّهُمْ يَقْطَعُونَ صَلَاةَ الْمَرْءِ بِرَبِّهِ ، كَمَا يَدْخُلُ فِيهِ
مُؤَالَاةُ أَهْلِ الْفَضَائِلِ ، وَالْمُسْتَمْسِكِينَ بِدِينِهِمْ لِأَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ . كَمَا
جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ : « وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ
الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفَسَادِ وَالْعِشْيِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ
عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ
ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا » .

النَّصْحُ لِلْكِتَابِ :

وَالنَّصْحُ لِلْكِتَابِ — وَهُوَ الْقُرْآنُ — مَعْنَاهُ : الْإِيمَانُ بِهِ وَالْعَمَلُ بِمَا

فِيهِ ، مَعَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى تِلَاوَتِهِ وَإِعَادَةِ النَّظَرِ فِيهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . إِلَى جَانِبِ تَبَجُّيلِهِ وَاحْتِرَامِهِ وَتَعْظِيمِهِ فَوْضَعُهُ فِي مَكَانٍ مُخْتَرِمٍ ، وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى نَظَافَتِهِ ، مِنْ وَاجِبَاتِ الْمُسْلِمِ الْهَامَّةِ ، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْإِيمَانُ بَبَقِيَّةِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَةِ الْآخَرَى :

التَّوْرَةُ ، وَالْإِنْجِيلُ ، وَالزَّبُورُ .

النُّصْحُ لِرَسُولِهِ :

وَالرَّسُولُ هُوَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَالنُّصْحُ لَهُ مَعْنَاهُ : التَّصَدِيقُ بِمَا جَاءَ بِهِ ، وَالنِّزَامُ طَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ بِهِ أَوْ نَهَى عَنْهُ ، وَإِحْيَاءُ سُنَّتِهِ وَالِاقْتِدَاءُ بِهِ فِي كُلِّ مَا شَرَعَهُ لِلنَّاسِ ، مِنْ عِبَادَاتٍ أَوْ مُعَامَلَاتٍ .

النُّصْحُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ :

وَأَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ هُمُ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ . فَرِئْسُ الْوُزَرَاءِ ، وَمَنْ يَقُومُ بِمُعَاوَنَتِهِ فِي تَدْيِيرِ أُمُورِ الدَّوْلَةِ وَتَصْرِيفِ شُئُونِ الْبِلَادِ مِنَ الْوُزَرَاءِ ، وَمُمَثِّلُو الدَّوَاثِرِ فِي مَجْلِسِ الْبِرْلَمَانِ ، أَوْ فِي الْمَجَالِسِ الْبَلَدِيَّةِ أَوِ الرَّيْفِيَّةِ — عَلَيْنَا أَنْ نَنْصَحَهُمْ وَنُشِيدُ بِأَعْمَالِهِمِ الْمَجِيدَةِ ، وَنُوجِّهَهُمْ إِذَا انْحَرَفُوا عَنْ طَرِيقِ الصَّوَابِ .

النُّصْحُ لِعَامَةِ الْمُسْلِمِينَ :

وَعَامَّةُ الْمُسْلِمِينَ هُمُ أَفْرَادُ الشَّعْبِ ، وَنُصَحُهُمْ يَكُونُ مِنْ جَانِبِ الْوِلَاةِ بِتَوْجِيهِهِمْ وَإِرْشَادِهِمْ ، وَالضَّرْبُ عَلَى أَيْدِي الْعَابِثِينَ مِنْهُمْ الَّذِينَ يَوَدُّونَ أَنْ

يُفْسِدُوا فِي الْبِلَادِ بِالْأَعْمَالِ الْمُشِينَةِ ، كَمَا يَكُونُ مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ ، فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُرْشِدَ أَخَاهُ إِلَى مَا فِيهِ النِّفْعُ ، وَيَنْهَاهُ عَمَّا يَجْلِبُ لَهُ وَلِغَيْرِهِ الْعَارُ . وَبِذَلِكَ تَحْيَا الضَّمَائِرُ وَتَسْتَيْقِظُ النُّفُوسُ ، فَيَعِيشُ الْمَجْتَمَعُ كُلُّهُ عَيْشَ الرَّافِعِينَ ، وَيَسْعَدُ سَعَادَةَ الْهَانِئِينَ ، وَيَعْدُو النَّاسُ كُلُّهُمْ ، وَيَرْوَحُونَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، وَالْعَمَلِ بِشَرَائِعِهِ .

لِلْمَنَاقِشَةِ

- (١) هَلْ مِنْ دَعَائِمِ الدِّينِ أَنْ تَنْصَحَ أَحَدَ زُمَلَائِكَ فِي الْمَدْرَسَةِ ؟
- (٢) وَكَيْفَ تَقُومُ بِنُصْحِهِ إِذَا كُنْتَ تَرْهَبُ شَخْصِيَّتَهُ لِمَسْكَانَتِهِ فِي الْمَجْتَمَعِ الْمَدْرَسِيِّ ؟

١١ - كُنْ عَوْنًا لِأَخِيكَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ (ص) قَالَ :
مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ
كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ
اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي
عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ
لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ
اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ يَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ
السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ
اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ
نَسَبُهُ .

١٢ - سُؤَالٌ وَإِجَابَةٌ

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ
اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ ،

قَالَ : لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسِّرُهُ
 اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ، تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ
 الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ ،
 ثُمَّ قَالَ : أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ
 تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ
 جَوْفِ اللَّيْلِ ، ثُمَّ تَلَا : « تَتَجَاوَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ
 رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ
 مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

ثُمَّ قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ ، وَعَمُودِهِ ، وَذِرْوَةِ
 سَنَامِهِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ،
 وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ؛ ثُمَّ قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكَ
 بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ
 وَقَالَ : كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ
 بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ فَقَالَ : ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ ! وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ
 فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ .

١٣ - رِفْقًا بِالْقَوَارِيرِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) :
مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُوْذِي جَارَهُ ،
وَاسْتَوْصَا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلْعٍ ، وَإِنْ
أَعْوَجَ شَيْءٌ فِي الضِّلْعِ أَغْلَاهُ ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهُ كَسَرَتْهُ ،
وَإِنْ تَرَكَتْهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا .

١٤ - إِنَّ اللَّهَ لَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ وَلَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ (ص)
فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ : « يَا عِبَادِي إِنِّي
حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا
تَظَالَمُوا ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهْدُونِي
أَهْدِكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ ،

فَاسْتَطْعِمُونِي^(١) أَطْعِمَكُمُ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ
فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمُ . يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ
لَكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ
تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ
وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى اتَّقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ،
مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ
وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ
وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي
لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ
وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ ، مَا نَقَصَ
ذَلِكَ مِنِّي عِنْدِي ، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ
الْبَحْرَ ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ
أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ
غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ .

(١) فاستطعموني : اطلبوا مني الهداية والإطعام . . . الخ .

١٥ - مَسْئُولِيَّةُ الْجَمَاعَةِ عَنِ الْفَرْدِ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« إِنَّ قَوْمًا رَكِبُوا سَفِينَةً فَاقْتَسَمُوا فَصَارَ لِكُلِّ مَوْضِعٍ
فَنَقَرَ رَجُلٌ مِنْهُمْ مَوْضِعَهُ بِفَأْسِهِ فَقَالُوا لَهُ : مَا تَصْنَعُ ؟ !
قَالَ : هُوَ مَكَانِي أَصْنَعُ فِيهِ مَا أَشَاءُ ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدِهِ نَجَا
وَنَجَّوْا وَإِنْ تَرَكَوْهُ هَلَكَ وَهَلَكَوْا » .

١٦ - فَضِيلَةُ الْعَمَلِ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَدِيمَ قَوْمٍ عَلَى
النَّبِيِّ (ص) فَقَالُوا : إِنَّ فُلَانًا يَصُومُ النَّهَارَ ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ ،
وَيُكْثِرُ مِنَ الذِّكْرِ ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ كَانَ يَكْفِي طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ .
فَقَالُوا : كُلُّنَا . فَقَالَ : كُلُّكُمْ خَيْرٌ مِنْهُ .

رِعَايَةُ الْبَيْتِ

مَنْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا لَا يَعْرِفُ فَاطِمَةَ ؟
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَعْرِفُ عَنْهَا إِلَّا أَنَّهَا بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ
(ص) وَزَوْجَةُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَلِيلٌ مِنْهُمْ مَنْ أَلَمَّ بِطَرَفٍ مِنْ
شَأْنِهَا مَعَ نَفْسِهَا وَمَعَ النَّاسِ .

تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقْرَأَ خَبَرَ ذَلِكَ فِيمَا أُثِرَ عَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا :
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي نَافِعٍ : يَا بَنَ أَعْبُدُ إِلَّا أَخْبِرُكَ عَنِّي وَعَنْ فَاطِمَةَ ؟ كَانَتْ
ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَأَكْرَمَ أَهْلِهَا عَلَيْهِ ، وَكَانَتْ زَوْجَتِي فَجَرَّتْ
بِالرَّحَاءِ ^(١) حَتَّى أَثَرُ الرَّحَاءِ بِيَدِهَا ، وَاسْتَقَمَّتْ بِالْقِرْبَةِ حَتَّى أَثَرَتْ الْقِرْبَةُ
بِنَحْرِهَا ، وَقَمَّتْ ^(٢) الْبَيْتَ حَتَّى أَغْبَرَتْ ثِيَابُهَا ، وَأَصَابَهَا مِنْ ذَلِكَ ضَرْبٌ .
هَكَذَا قَضَتْ حَيَاتَهَا فَاطِمَةُ فِي يَدِهَا أَثَرُ الرَّحَى ، وَفِي نَحْرِهَا أَثَرُ
الْقِرْبَةِ وَعَلَى ثِيَابِهَا قُمَامَةُ الْبَيْتِ وَدَنَسُ الْقِدْرِ .

بَلْ إِنَّهَا لَيَشْتَدُّ الْأَمْرُ عَلَيْهَا وَهِيَ حَامِلٌ فَكَانَتْ إِذَا خَبَرَتْ
أَصَابَ حَرْفُ النَّوْرِ ^(٣) بَطْنَهَا : فَأَتَتْ أَبَاهَا رَسُولَ اللَّهِ (ص) تَسْأَلُهُ

(١) الرَّحَاءُ : الطَّاحُونَةُ « الرَّحَايَةُ » عِنْدَنَا فِي السُّودَانِ .

(٢) تَقُمُ الْبَيْتَ : تَنْظِفُهُ - وَالْقُمَامَةُ الْبُخَاخَةُ .

(٣) النَّوْرُ : الْفَرْقُ مَكَانَ الْخَبَرِ .

خَادِمًا ، فَقَالَ لَهَا : « لَا أُعْطِيكَ وَأَدْعُ أَهْلَ الصُّفَةِ ^(١) تَطْوِي بِطُونَهُمْ
مِنَ الْجُوعِ ، أَوْلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ ، إِذَا أَوَيْتِ إِلَى فِرَاشِكَ
تُسَبِّحِينَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَتُحَمِّدِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَتُكَبِّرِينَ
أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ .

هَكَذَا رَدَّهَا أَبُوهَا النَّبِيُّ ، وَأَضَافَ إِلَى شُغْلِهَا الَّذِي أَنَّهُمَا
شُغْلًا جَدِيدًا مِنَ الذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ ؛ فَهَلْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ قَسْوَةٍ مِنْهُ ؟ كَلَّا
وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُسَلِّمَ قَلْبَهَا إِلَى مَعَانِيهِ الْعُلُويَّةِ وَيَغْمُرَ نَفْسَهَا بِذِكْرِ اللَّهِ
وَيَشْغَلَهَا عَنْ شَكْوَى جَسَدِهَا الْمَنُهُوكِ .

(من مجلة « المسلمون » بتصرف)

(١) أهل الصفة : جماعة من فقراء الصحابة .

كَرَمٌ وَمُرُوءَةٌ

أَمَّا اتَّسَعَتْ رُقْعَةُ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَكَثُرَتِ الْفُتُوحُ فِي عَهْدِ سَيِّدِنَا
عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَفُتِحَتْ مِصْرُ وَالشَّامُ وَالْعِرَاقُ وَفَلَسْطِينُ — كَانَ دَخَلَ
الدَّوْلَةُ مِنْ الْخَرَاجِ وَالضَّرَائِبِ كَثِيرًا ، وَكَانَ سَيِّدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ
الْحَارِسُ عَلَى هَذِهِ الْأَمْوَالِ الَّتِي تَصِلُ إِلَى يَدَيْهِ مِنْ أَعْمَالِهِ فِي الْأَقَالِيمِ الْمُخْتَلِفَةِ .
وَكَانَ مِنْ عَدْلِهِ أَنْ رَتَّبَ لِكُلِّ مَنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مَرْتَبَاتٍ خَاصَّةً ،
كَأَنَّهُمْ لَأَزْوَاجِ النَّبِيِّ (ص) لِكُلِّ وَاحِدَةٍ اثْنَى عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .
وَكَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا — إِحْدَاهُنَّ ، وَكَانَتْ أَسْخَى
زَوْجَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأُرْسِلَ إِلَيْهَا عُمَرُ بِنَصِيحَتِهَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ وَجَدَتْ
شَيْئًا عَظِيمًا لَمْ تَرَ مِثْلَهُ وَلَمْ تَحْسِبْهُ لَهَا بَلْ ظَنَّتْ ، أَنَّ عُمَرَ أُرْسِلَ بِهِ لِتُقَسِّمَهُ
فِي صَوْنِحِبَاتِهَا مِنْ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ (ص) فَقَالَتْ : غَفَرَ اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
لَقَدْ كَانَ فِي صَوَاحِبَاتِي مِنْ هِيَ أَقْوَى عَلَى قِسْمَتِهِ مِنِّي . فَقِيلَ لَهَا : إِنْ هَذَا
الْمَالُ كُلُّهُ لَكَ . فَأَمَرَتْ بِهِ فَصُبَّ وَغَطَّتْهُ بِثَوْبٍ ، وَكَانَتْ صَائِمَةً فَقَالَتْ لِبَعْضِ
مَنْ عِنْدَهَا : أَذْخِلِي يَدَكَ لَالِ فُلَانٍ ، فَلَمْ تَزَلْ تُعْطِي لَالَ فُلَانٍ وَآلِ
فُلَانٍ وَآلِ فُلَانٍ حَتَّى قَالَتْ لَهَا الَّتِي تُدْخِلُ يَدَهَا : لَا أَرَاكَ تَذْكُرِيَنِي وَلِيَّ
عَلَيْكَ حَقٌّ ، فَقَالَتْ : لَكَ مَا تَحْتَ الثَّوْبِ . فَكَشَفَتْ الثَّوْبَ فَإِذَا

خمسۃً وثمانونَ درهماً فأخذتها وانصرفت . فقالت لها خادمتُها : هَلَا كُنْتَ
أَبْقَيْتِ لَنَا شَيْئًا نَتَّقُوهُ بِهِ وَأَنْتِ صَائِمَةٌ ؟ فقالت : لو ذَكَرْتُ نِيَّ لَفَعَلْتُ وَعِنْدَ اللَّهِ
فَضْلٌ كَثِيرٌ . ثُمَّ رَفَعَتِ الطَّاهِرَةَ يَدَهَا إِلَى اللَّهِ وَقَالَتْ :
« اللَّهُمَّ لَا بُدْرُكُنِي عَطَاهُ عَمْرٌ بِمَدَامِي هَذَا » .

الدُّعَاءُ وَالِاسْتِغْفَارُ

١ - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ (ص) عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا .

٢ - عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ (ص) يَدْعُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ حِينَ يُمَسِّي وَحِينَ يُصْبِحُ :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي

وَمَالِي ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي ، وَآمِنْ رَوْعَاتِي ، وَاحْفَظْنِي مِنْ
بَيْنِ يَدَيْ ، وَمِنْ خَلْفِي ، وَعَنْ يَمِينِي ، وَعَنْ شِمَالِي ، وَمِنْ
فَوْقِي ، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي .

٣- مَا يُقَالُ عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ :

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) :
إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ افْتَحْ لَنَا أَبْوَابَ
رَحْمَتِكَ ، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ .

٤- مَا يُقَالُ عِنْدَ لُبْسِ الثَّوبِ الْجَدِيدِ :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) إِذَا اسْتَجَدَّ
ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ عِمَامَةً أَوْ قَمِيصًا ، أَوْ رِدَاءً ثُمَّ يَقُولُ :
اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ
مَا صُنِعَ لَهُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ ، وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ .

٦ - دُعَاءُ لِلْإِمَامِ أَبِي الْقَاسِمِ السُّهَيْلِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٨١ هـ

يَا مَنْ بَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَبَسَمُ	أَنْتَ الْمَعْدُ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُرَجَّى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا	يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمَشْتَكَى وَالْمَقْزَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلٍ كُنْ	أُمْنُنْ فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَالِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ	فَلَسْتُ رُدِدْتُ قَائِيَّ بَابٍ أَقْرَعُ
مَالِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ	وَبِالْاِفْتِقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَذْفَعُ
مَنْ ذَا الَّذِي أَدْعُو وَأُهْتِفُ بِاسْمِهِ	إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرِكَ يُمْنَعُ
حَاشَا لِمَجْدِكَ أَنْ تُقْنَطَ عَاصِيًا	الْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ

(٣)

دروس فى العبادات

الدَّرْسُ الأولُ

صِفَاتُ الْمَاءِ

على المسلم أن يكون نظيفاً طاهراً البدن والثياب ، وقد شرع الإسلام هذه الصلوات الخمس التي تتكرر فيها عملية الوضوء خمس مرات أو ثلاثاً ، لتكون أعضاء المصلي : عيناه ويدها ورجلاه وأنفه وأذناه نظيفة طاهرة ، وأوجب الإسلام كذلك استعمال الماء النظيف الطاهر حينما يقضى الإنسان حاجته ، أو تعلق يديه أو ثوبه نجاسة .

(١) الماء الطهور : وهو الماء الذي لم يتغير لونه ولا طعمه ولا رائحته بشيء . فماء المطر ، والثلج ، وماء البحر ، وماء البئر ، وماء الأنهار والعيون . . . كل ذلك ماء طهور يستعمله المسلم في نظافة بدنه . قال تعالى : « وأنزلنا من السماء ماء طهوراً » .

(٢) الماء الطاهر : وهو الماء الذي خالطه شيء طاهر — مثل الليمون والبرتقال ، والماء الذي اختلط بصابون طاهر كذلك . . . وهذا الماء لا يستعمل في عملية الوضوء .

(٣) الماء المتنجس : وهو الماء الذي اختلط بنجاسة فغيرت واحداً من أوصافه السابقة التي ذكرناها : اللون أو الطعم ، أو الرائحة . فأصبح

نَجِسًا كَرِيهًا يَنْفِرُ مِنْهُ الطَّبَعُ ، وَلَا يُقَرُّ اسْتِعْمَالُهُ الشَّرْعُ ، لَا فِي عِبَادَةٍ وَلَا فِي غَيْرِهِ .

أَسْئَلُهُ لِلْإِجَابَةِ :

(١) إِذَا بَحَرَّتْ « الْقُلَّةُ » بِالْمِسْكِ — هَلْ يَجُوزُ أَنْ تَتَوَضَّأَ مِنْ مَائِهَا؟
ولماذا ؟

(٢) مَاذَا تَفْعَلُ حِينَما تَجِدُ « مَاءً طَاهِرًا » وَأَنْتَ تُرِيدُ صَلَاةَ الظُّهْرِ ؟

(٣) إِذَا صَلَّيْتَ بِثَوْبٍ فِيهِ نَجَاسَةٌ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ ذَلِكَ ، فَهَلْ تَصِحُّ صَلَاتُكَ ؟

(٤) أَوِاسْتَقَيْتَ مِنْ مَاءِ الْبَيْتْرِ بَدَلًا فِيهِ رَائِحَةُ الْقَطِرَانِ . فَهَلْ تَسْتَعْمِلُ هَذَا الْمَاءَ فِي الْوُضُوءِ ؟

الدَّرْسُ الثَّانِي

النَّظَافَةُ فِي الْإِسْلَامِ

قال صلى الله عليه وسلم : « النَّظَافَةُ مِنَ الْإِيمَانِ » .

(١) الوضوء : عملية يقوم بها كلُّ مسلمٍ ومُسلمةٍ ، كُلَّمَا أَرَادَ الْوَاحِدُ مِنْهُمَا أَنْ يَقِفَ بَيْنَ يَدَي خَالِقِهِ خَمْسَ مَرَاتٍ فِي الْيَوْمِ اسْتِجَابَةً لِأَمْرِهِ . فَيَغْسِلُ الْمِرَّةَ أَعْضَاءَ الْوُضُوءِ الَّتِي فَرَضَهَا الْقُرْآنُ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ » ^(١) .

كما يغسل أعضاءه التي سنّها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

(١) اليدين إلى الكوعين .

(٢) وَيَتَمَضَّمُ ثَلَاثًا .

(٣) ، (٤) وَيَسْتَنْشِقُ وَيَسْتَنْثِرُ ثَلَاثًا .

(٥) وَيَمْسَحُ رَأْسَهُ .

(٦) وَيَمْسَحُ أُذُنَيْهِ .

ولغسل هذه الأعضاء فوائدٌ كثيرةٌ عرقتها فيما سبق ، وذلك لأنها مُعَرَّضَةٌ لِلانْسَاخِ بِالْأُتْرَبَةِ وَالْعَرَقِ .

(١) سورة المائدة

(٢) الاستحمام : أوجب الإسلامُ الاستِحْمامَ على الرَّجُلِ وزَوْجَتِهِ بعد
الجماع . كما ألزم به الشخصَ عند أداء هذه العبادات التي يستلزمُ
أن يؤدِّيها الناسُ في جماعةٍ ، مثل صلاة الجمعة ، وصلاة العيدين .
بل إن الاستِحْمامَ عندنا في « السودان » ينبغي أن يكونَ على
الأقلِّ مرةً كُلَّ يومٍ في زمنِ الصيف إذا أرادَ الإنسانُ أن يحتفظَ
بنشاطه وحيويته ، ويكونَ مألوفاً محبوباً عندَ الناس .

(٣) نظافةُ الأسنان : قال صلى الله عليه وسلم : « لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى
أُمَّتِي لِأَمْرَتِهِمْ بِالسَّوَالِكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ » . ومن هُنا نعلمُ أن
نظافةَ الأسنانِ لازمةٌ . بل إنها ضروريةٌ للغاية خصوصاً عندما
ينهضُ الإنسانُ من فراشِ نَوْمِهِ . واستعمالُ المسواكِ أو فرشَةِ
الأسنانِ يُكسِبُ الفمَ رائحةً طَيِّبَةً ، ويشعُرُ المرءُ بعده بسعادةٍ
وبهجةٍ . ولا شكَّ أن إهمالَ الأسنانِ وعدمَ العنايةِ بِنظافتِها يُؤدِّي
إلى فسادِها وتَسْوُسِها .

ملحوظة : يمكنُ أن تُصَلِّيَ بوضوءٍ واحدٍ أَكْثَرَ مِنْ صَلَاةٍ .
ويندب تجديدُهُ .

الدرس الثالث

١ - مَا قَرَّرَ الشَّرْعُ طَهَارَتَهُ

٢ - وَمَا حَكَمَ فِيهِ بِالنَّجَاسَةِ

قد عرفت في الدرس السابق أن الماء الطهور هو الذي نَسْتَعْمِلُهُ فِي نَظَافَةِ أَبْدَانِنَا حِينَ نَسْتَحِمُ ، أَوْ فِي غَسْلِ أَعْضَانِنَا حِينَ تَتَوَضَّأُ ، أَوْ فِي تَطْهِيرِ ثِيَابِنَا . . . وَسَتَقِفُ فِي هَذَا الدَّرْسِ عَلَى قَاعِدَتَيْنِ مِنْ قَوَاعِدِ شَرِيعَتِكَ السَّامِعَةِ ، وَدِينِكَ الْقَوِيمِ .

هُنَاكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا حَكَمَ الشَّرْعُ فِيهِ بِالطَّهَارَةِ ، وَمَا قَرَّرَ أَنَّهُ نَجِسٌ .

القاعدة الأولى :

(١) مَا قَرَّرَ الشَّرْعُ طَهَارَتَهُ :

(١) الإنسان : طاهر وكذلك دَمُّهُ وَعَرَقُهُ ، وَلُعَابُهُ ، وَمُخَاطُهُ .

(٢) الحيوان : الذي أباحَ الشَّرْعُ أَكْلَ لَحْمِهِ طاهر . وكذلك دَمُّهُ وَعَرَقُهُ وَلُعَابُهُ ، وَمُخَاطُهُ ، وَبَيْضُهُ الذي لم يَفْسُدْ .

(٣) النبات : أشجار القطن ، والبرتقال ، وأعواد الدُّرَّةِ وَغَيْرُهَا مِنْ

أنواع النبات طاهرة

(٤) السَّوَائِلُ : الزُّبُوت ، وَالسَّمْن ، وَالْعَسَل ، وَالرَّوَانِحُ الْعِطْرِيَّةُ
وَالْخَلُّ — كُلُّ ذَلِكَ طَاهِرٌ مَا لَمْ يَطْرَأْ عَلَيْهِ نَجَاسَةٌ .

القاعدة الثانية .

(ب) مَا حَكَمَ فِيهِ الشَّرْعُ بِالنَّجَاسَةِ :

- (١) الْحَيَوَانَاتُ الْمَيْتَةُ وَمَا يُخْرَجُ مِنْهَا ، كَالدَّم ، وَالْبَوْل . . إلخ
- (٢) مَا يَسِيلُ مِنَ الْقُرُوحِ .
- (٣) فَضَلَاتُ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ الَّتِي لَمْ يُبَسِّحْ الشَّرْعُ أَكْلَ لَحْمِهِ
كَالْحَمِيرِ وَالْبِغَالِ .

أَسْئَلَةٌ لِلْإِجَابَةِ :

- (١) مَا الْحُكْمُ إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي مَاءٍ ؟
- (٢) كَيْفَ تَفْهَمُ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ :
فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ ، فَأُلْحُوتُ وَالْجُرَادُ . وَأَمَّا الدَّمَانُ فَالْكَبِدُ وَالطَّحَالُ » ،
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ » ؟

الدرس الرابع آدابُ إسلامية

لِدُخُولِ الْمَرَا حِيضٍ ، أَوْ الْخُرُوجِ إِلَى الصَّحَرَاءِ مِنْ أَجْلِ قَضَاءِ الْإِنْسَانِ حَاجَتُهُ « مِنْ بَوْلٍ أَوْ غَيْرِهِ » آدَابُ إِسْلَامِيَّةٌ تَحِبُّ مُرَاعَاتَهَا وَالْمُحَافَظَةَ عَلَيْهَا . وَهَذِهِ الْآدَابُ قَدْ لَا يَهْتَمُّ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، مَعَ أَنَّ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ أَلْزَمَنَا بِهَا . وَطَلَبَ إِلَيْنَا أَنْ نُؤَلِّفَ جَانِبًا كَبِيرًا مِنَ الْإِعْتِبَارِ ، وَحَذَرْنَا مِنْ تَرْكِهَا مَخَافَةَ أَنْ يَحْدُثَ لِلْإِنْسَانِ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حُسْبَانِهِ .

رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ : عَنْ صَاحِبَيْهِمَا : إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَنْزِهُ مِنَ الْبَوْلِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ .

وَتَمْلَخُصُ هَذِهِ الْآدَابُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِيمَا يَأْتِي :

(١) أَنْ يَقُولَ الشَّخْصُ عِنْدَ الدُّخُولِ : بِسْمِ اللَّهِ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ .

وَعِنْدَ الْخُرُوجِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي الْأُذَى وَعَافَانِي (سِرًّا)

(٢) أَنْ يُدِيمَ سِتْرَ عَوْرَتِهِ حَتَّى يَقْتَرِبَ مِنْ مَوْضِعِ الْجُلُوسِ .

(٣) أَنْ يَقْضِيَ حَاجَتَهُ وَهُوَ جَالِسٌ .

- (٤) أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَى رِجْلِهِ الْيُسْرَى .
- (٥) أَنْ يُغَطِّيَ رَأْسَهُ .
- (٦) أَنْ يَبْتَغِدَ عَنِ الْبَوْلِ فِي الْجَحْرِ .
- (٧) أَنْ يَسْتَتِرَ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ إِذَا كَانَ فِي الْخَلَاءِ .
- (٨) أَنْ لَا يَتَّجِهَ لِلْقَبِيلَةِ فِي جُلُوسِهِ إِكْرَامًا لَهَا ، فَلَا يَسْتَقْبِلُهَا
أَوْ يَسْتَذْبِرُهَا إِلَّا لِضَرُورَةٍ .
- (٩) أَنْ يَسْتَعْمِلَ الْمَاءَ فِي غَسْلِ السَّبِيلِينَ .
- (١٠) أَنْ يَبْتَغِدَ الْإِنْسَانُ عَنِ التَّبَرُّزِ فِي الْمَاءِ .
- (١١) أَنْ يَبْتَغِدَ عَنِ الْبَوْلِ أَوْ التَّبَرُّزِ فِي الظِّلِّ وَمَوَارِدِ الْمَاءِ .
- (١٢) أَنْ يَطْمُرَ الْبِرَّازَ بِالتُّرَابِ لِئَلَّا يَقَعَ عَلَيْهِ الذُّبَابُ إِذَا كَانَ يَتَبَرَّزُ
فِي الْخَلَاءِ .

الدَّرْسُ الْخَامِسُ

سَهُولَةٌ وَيُسْرٌ

ماذا تفعل إذا كان بعضو من أعضائك جُرْحًا أو كَسْرًا ؟

إن الدين الإسلامي دينٌ يُسر . ليس فيه مشقة على المرء . ولا يُكلفه ما لا طاقة له به . فإذا كان بأحد أعضاء الوضوء لمن أراد أن يتوضأ — جُرْح أو كَسْر ، وكان غسل هذا العضو يضر به فقد شرع الدين ما يُسهل عليه هذه المهمة ، حتى لا يترك صلاته اتكالا على هذا العذر ؛ وهذه هي الخطوات التي يتبناها الشخص في الحالة السابقة على الترتيب الآتي :

(١) يَمْسَحُ العضو المصاب من غير غسل ؛ فإذا خاف من المسح فإنه :

(٢) يَمْسَحُ على الدواء ؛ وإذا كان يتضرر فإنه :

(٣) يَمْسَحُ على الشريط الملفوف على الجرح .

أما إذا كان استعمال الماء في الاستحمام يضر بالإنسان في جسده ، كأن يكون مصابا بركام حاد ؛ أو بنزلة ، فإن واجبه حينئذ أن يتيمم .

قال الله تعالى في سورة البقرة : « يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ » .

صَلَاةُ الْمَرِيضِ :

وَمِنْ يُسِّرُ الْإِسْلَامَ أَنَّهُ خَفَّفَ عَلَى الْمَرِيضِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُؤَدِّيَ حَرَكَاتِ الصَّلَاةِ : جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ قُلَ : كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الصَّلَاةِ ، فَقَالَ : « صَلِّ قَائِمًا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ » .

وَمِنْ هُنَا نَعْلَمُ سُهُولَةَ الْإِسْلَامِ وَيُسْرَهُ فِي هَذِهِ الْأَحْكَامِ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ لِمَنْفَعَةِ عِبَادِهِ .

الدَّرْسُ السَّادِسُ

مَشْرُوعِيَّةُ الصَّلَاةِ

شُرِعَت الصَّلَاةُ الْخَمْسُ لِتَكُونَ صِلَةً بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ . يَتَفَرَّغُ فِيهَا مِنْ شُؤْنِ دُنْيَاهُ ، لِيَخْلُو قَلْبُهُ إِلَى شُؤْنِ آخِرَتِهِ وَيُقْبَلَ عَلَى رَبِّهِ فِي خُشُوعٍ وَتَضَرُّعٍ ، يَشْكُرُهُ عَلَى آلَائِهِ الْكَثِيرَةِ ، وَيَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الْوَفِيرَةِ ، وَيَسْأَلُهُ التَّوْبَةَ وَالْمَغْفِرَةَ . ولهذا الاتصال — خَمْسُ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ — أَثَرُهُ الْعَمِيقُ فِي النَّفْسِ . فِيهِ تَجَدُّ طُمَأْنِينَتُهَا ، وَمِنْهُ تَسْتَمِدُّ رَاحَتَهَا وَقُوَّتَهَا ، وَالصَّلَاةُ هِيَ الدِّينُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

مَتَى شُرِعَتُ الصَّلَاةُ ؟

شَرَعَ اللَّهُ الصَّلَاةَ الْخَمْسَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : فَرَضْتُ عَلَى النَّبِيِّ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ الصَّلَاةُ خَمْسِينَ ، ثُمَّ نَقِصْتُ حَتَّى جُعِلَتْ خَمْسًا ، ثُمَّ نُودِيَ : يَا مُحَمَّدُ ! إِنَّهُ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ، وَإِنْ لَكَ بِهَذِهِ الْخَمْسِ خَمْسِينَ .

جَزَاءُ تَارِكِ الصَّلَاةِ :

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَارِكُ الصَّلَاةِ مَلْعُونٌ ، وَجَارُهُ إِنْ رَضِيَ

به ملعون ، ولولا أني حكم عدل لقلت : ومَن يخرج من ظهره
ملعون .

وقال : إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة ؛ فأحرص
عليها — أيها المسلم — ولا تُفَرِّط فيها . وامثل أمر ربك : « إن
الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر » .

أقسام الصلاة :

(١) فروض العَيْن ، وهي الصَّلواتُ الخمس ، والجمعة ، واجبة على
كلِّ عَيْنٍ : مُسلم ومُسلمة ، كبير وصغير^(١) .

(٢) فرض الكفاية : كصلاة الجنائزة ، تجبُ على بعض المسلمين
وتسقطُ عن الباقين .

(٣) السنن المؤكدة : مثل : صلاة الرَّغِيبَةِ ، والشفع والوتر . وصلاة
العِيدَيْن .

(٤) النوافل : وهي صلاة التراويح ، وصلاة التطوع .

(١) والتصغير : يأمره بها ولي أمره عند السابعة ، ويضربه على تركها عند العاشرة . « مروا
أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر » .

الدرس السابع

فَرَائِضُ الصَّلَاةِ

لِلصَّلَاةِ أَقْوَالٌ وَأَفْعَالٌ ، مَثَلُهَا كَمَثَلِ الْجِسْمِ : لَا يَكُونُ جَسَدًا كَامِلًا إِلَّا إِذَا كَانَتْ أَعْضَاؤُهُ سَلِيمَةً صَحِيحَةً ، وَكَذَلِكَ الصَّلَاةُ لَا تُعْتَبَرُ حَقِيقَتُهَا إِلَّا بِمَجْمُوعِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ .

ولِلصَّلَاةِ فَرَائِضٌ هِيَ :

(١) النِّيَّةُ : فَيَنْوِي الْمُصَلِّي الْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ مُسْتَحْضِرًا عَظَمَتَهُ وَجَلَالَهُ لِيَخْشَعَ قَلْبُهُ :

(٢) تَكْبِيرَةُ الْإِحْرَامِ : وَهِيَ لَفْظُ : اللَّهُ أَكْبَرُ ؛ لَا يُجْزَى أَيُّ لَفْظٍ آخَرَ .

(٣) الْقِيَامُ لِلْإِحْرَامِ : فَلَا يُحْرِمُ لِلصَّلَاةِ وَهُوَ جَالِسٌ إِلَّا إِذَا كَانَ مَرِيضًا .

(٤) قِرَاءَةُ الْفَاتِحَةِ : وَتَجِبُ عَلَى الْإِمَامِ وَالشَّخْصِ الْمُنْفَرِدِ . وَتُسْتَحَبُّ فِي حَقِّ الْمَأْمُومِ إِذَا كَانَ الْإِمَامُ يَقْرَأُ سِرًّا .

(٥) الْقِيَامُ لقراءة الفاتحة .

(٦) الرُّكُوعُ : وَيَكُونُ الشَّخْصُ فِيهِ مُسْتَوِي الظَّاهِرُ فِي حَالَةِ انْحِنَائِهِ .

(٧) السُّجُودُ : وَيَتَحَقَّقُ بِاسْتِقْرَارِ الْأَعْضَاءِ الْآتِيَةِ وَتَمَكُّينِهَا مِنَ الْأَرْضِ :

(١) الجبهة (٢) الأنف (٣) الركبتين (٤) أصابع
القدمين (٥) اليدين .

(٨) الرَّفْعُ مِنَ الرُّكُوعِ قَائِلًا : سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ . رَبَّنَا وَلَكَ
الْحَمْدُ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه .

(٩) السُّجُودُ ، ويقول سرّاً : سُبْحَانَكَ رَبِّيَ عَمِلْتُ سُوءًا وظَلَمْتُ نَفْسِي
فَاغْفِرْ لِي .

(١٠) الرَّفْعُ مِنَ السُّجُودِ ، ويقول سرّاً : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وارْحَمْنِي واسْتُرْنِي
واعفُ عَنِّي وعافني .

(١١) الْجُلُوسُ بَيْنَ السُّجُودَتَيْنِ .

(١٢) الْجُلُوسُ بِقَدَرِ السَّلَامِ .

(١٣) السَّلَامُ . ولفظه : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

(١٤) الطَّمَأْنِينَةُ : وهى سكونُ الأعضاء واستقرارُها .

(١٥) تَرْتِيبُ الْأَرْكَانِ فِي الْأَدَاءِ : فيكون القيامُ قبلَ الرُّكُوعِ والركوعُ
قبلَ السُّجُودِ وهكذا ...

أُسْئَلَةُ لِلْإِجَابَةِ : (١) متى يتحققُ الركوعُ ؟

(٢) ما هو الفرقُ بين الفَرَضَيْنِ : الطَّمَأْنِينَةُ والاعتدالُ ؟

(٣) هل يجوزُ أَنْ تُكَبِّرَ بلفظٍ غيرِ عَرَبِيٍّ ؟

الدَّرْس الثَّامِن

سُنَن الصَّلَاة

- والسُّنَّة هِيَ مَا وَاظَبَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ وَدَاوَمَ حَتَّى أَصْبَحَتْ لَزُومَ
الْفَرَائِضِ . وَسُنَنُ الصَّلَاةِ الَّتِي دَاوَمَ عَلَيْهَا الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هِيَ :
- (١) قِرَاءَةُ مَا زَادَ عَلَى الْفَاتِحَةِ . سِوَا مَا كَانَ الْمُقْرَأُ سُورَةً أَوْ آيَةً .
- (٢) الْقِيَامُ لِقِرَاءَةِ مَا زَادَ عَلَى الْفَاتِحَةِ .
- (٣) الْجَهْرُ فِي مَحَلِّ الْجَهْرِ . وَأَقْلُ الْجَهْرِ أَنْ يُسْمِعَ الْقَارِئُ مَنْ يَلِيهِ .
- (٤) السِّرُّ فِي مَحَلِّ السِّرِّ . وَأَعْلَى السِّرِّ أَنْ يُسْمِعَ الْقَارِئُ نَفْسَهُ
وَمَنْ يَلِيهِ .
- (٥) التَّكْبِيرُ كُلُّهُ مَا عَدَا تَكْبِيرَةَ الْإِحْرَامِ .
- (٦) التَّسْمِيعُ « قَوْلُ : سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ » لِلْإِمَامِ وَالْمُنْفَرِدِ .
- (٧) التَّشَهُدُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي .
- (٨) الْجُلُوسُ الزَّائِدُ عَلَى قَدْرِ السَّلَامِ .
- (٩) الْجَهْرُ بِالتَّسْلِيمِ .
- (١٠) الْإِسْتِمَاعُ لِلْإِمَامِ فِي الْقِرَاءَةِ الْجَهْرِيَّةِ .
- (١١) السُّتْرَةُ لِلْإِمَامِ : فَيُرَكِّزُ أَمَامَهُ عَصًا أَوْ نَحْوَهَا لَا يَقِلُّ طَوْلُهَا عَنْ ذِرَاعٍ .

مُسْتَحَبَّاتُ الصَّلَاةِ :

وهي كثيرة ومنها :

- (١) قراءةُ المأموم مع الإمام في القراءة السَّريَّة .
- (٢) رفعُ اليَدَيْنِ عِنْدَ تَكْبِيرَةِ الإِحْرَامِ .
- (٣) تَطْوِيلُ القراءة في الصُّبْحِ وَالظُّهْرِ وَتَقْصِيرُهَا فِي الْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَتَوَسُّطُهَا فِي الْعِشَاءِ .
- (٤) قول « آمين » عند نهاية الفاتحة .
- (٥) قراءةُ القُنُوتِ في صلاة الصُّبْحِ .
- (٦) التَّسْبِيحُ في حال الركوع : « سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ » لقوله عليه السلام : « أما الركوع فعظموا فيه الرَّبَّ وأما السُّجُود فادُّعُوا فيه بِمَا شِئْتُمْ » ويقول في السُّجُود : سبحانك رَبِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَعَمِلْتُ سُوءًا فَاغْفِرْ لِي .
- (٧) وَعَقْدُ أَصَابِعِ اليَدِ وَمَدُّ السَّابَاةِ وَتَحْرِيكُهَا بِبُطْءٍ .
- (٨) التَّيَامُنُ بِالسَّلامِ .
- (٩) النَّظَرُ إِلَى مَوْضِعِ سُجُودِهِ فِي حَالِ قِيَامِهِ .
- (١٠) الْمَشْيُ إِلَى الصَّلَاةِ بِوَقَارٍ وَسَكِينَةٍ .
- (١١) إِعْتِدَالُ الصُّفُوفِ فِي صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ .

الدرس التاسع

الصَّلَاةُ عَلَى الْمَيِّتِ

رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) قَالَ : « مَنْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةٍ مِنْ بَيْتِهَا ، وَصَلَّى عَلَيْهَا ، ثُمَّ تَبِعَهَا حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ مِنْ أَجْرٍ ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أَحَدٍ . وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَحَدٍ .

حُكْمُ صَلَاةِ الْجَنَازَةِ :

فَرَضُ كِفَايَةٍ ، إِذَا قَامَ بِهَا جَمْعٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ أَدَّوْا وَاجِبَهُمْ وَتَسَقَطَ عَنْ لَمْ يُصَلَّاهَا مِنْهُمْ .

شُرُوطُهَا : ثَلَاثَةٌ :

(١) الطَّهَّارَةُ .

(٢) اسْتِقْبَالُ الْقِبْلَةِ .

(٣) سِتْرُ الْعَوْرَةِ .

أركانها : خمسة :

(١) النِّيَّة .

(٢) القيام للصَّلاة .

(٣) أربعُ تكبيرات .

(٤) الدُّعاء .

(٥) السَّلام .

وَيُسْتَحَبُّ لِلْمُصَلِّي أَنْ يَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ ^(١) وَلْيَبْدَأُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ
عَلَى رَسُولِهِ هَكَذَا :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ
صَلَّيْتَ وَرَحِمْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ
حَمِيدٌ مُجِيدٌ .

اللَّهُمَّ إِنَّهُ عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ ، كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنْتَ ، وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ .
وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ . اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مُحْسِنًا فَزِدْ فِي إِحْسَانِهِ ، وَإِنْ كَانَ
مُسِيئًا فَتَجَاوَزْ عَنْ سَيِّئَاتِهِ . اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ .
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ . »

(١) وهو الدعاء الذي رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي عليه السلام .

تَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءَ بَعْدَ كُلِّ تَكْبِيرَةٍ ، وَتَزِيدُ عَلَيْهِ بَعْدَ التَّكْبِيرَةِ
الرَّابِعَةِ إِنْ شِئْتَ :

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا ، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا ، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا ،
وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا ، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَخِيهِ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَمَنْ
تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الْإِيمَانِ .

اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ ، وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ .

الدُّعَاءُ لِلطَّمَلِ :

تَقُولُ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ :

« اللَّهُمَّ إِنَّهُ عَبْدُكَ ، وَابْنُ عَبْدِكَ ، وَابْنُ أُمْتِكَ ، أَنْتَ خَلَقْتَهُ ،
وَرَزَقْتَهُ وَأَنْتَ أُمَّتُهُ ، وَأَنْتَ تُحْيِيهِ ، اللَّهُمَّ فَاجْمَعْ لَهُ لَوَالِدَيْهِ سَلَفًا
وَذُخْرًا وَفَرَطًا وَأَجْرًا^(١) ، وَثَقِّلْ بِهِ مَوَازِينَهُمْ ، وَأَعْظِمْ بِهِ أَجُورَهُمْ ،
وَلَا تَحْرِمْنَا وَإِيَّاهُمْ أَجْرَهُ ، وَلَا تَفْتِنْنَا وَإِيَّاهُمْ بَعْدَهُ . اللَّهُمَّ أَلْحِقْهُ بِصَالِحِ
سَلَفِ الْمُؤْمِنِينَ فِي كِفَالَةِ إِبْرَاهِيمَ وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ ، وَأَهْلًا
خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَعَافِهِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ .

(١) سَلَفًا وَفَرَطًا : بِمَعْنَى ذُخْرًا وَأَجْرًا .

للمناقشة :

- (١) أين يَقِفُ الإمامُ إذا كانَ المَيِّتَ ذَكَراً أوْ أنْثى ؟
- (٢) لو أدركتَ الإمامَ في صَلَاةِ الْجَنَازَةِ عِنْدَ التَّكْبِيرَةِ الثَّالِثَةِ فماذا تَفْعَلُ ؟
- (٣) هلْ يُثَابَرُ مَنْ شَيَّعَ الْجَنَازَةَ ولم يَتِمَّكَنْ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهَا ؟
- (٤) وما مِقْدَارُ ثَوَابِهِ ؟

مَوَاضِعُ النَّهْيِ عَنِ الصَّلَاةِ

نَهَى رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَنِ الصَّلَاةِ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ كَمَا رَوَى
سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ ^(١) ابْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَهَذِهِ هِيَ :

(١) الصَّلَاةُ فِي الْمَقْبَرَةِ :

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ
أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » . وَقَالَ : « إِنْ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ
قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ
إِنِّي أَنَهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ » . وَسَبَبُ النَّهْيِ فِي هَذَا الْخَوْفُ مِنَ الْمُبَالَغَةِ
فِي تَعْظِيمِ صَاحِبِ الْقَبْرِ حَتَّى لَا يُؤَدَّى ذَلِكَ إِلَى الْكُفْرِ .

(٢) الصَّلَاةُ فِي قَارِعَةِ الطَّرِيقِ :

وَقَارِعَةُ الطَّرِيقِ وَسَطُهُ . وَسَبَبُ النَّهْيِ فِيهِ لِأَن كَثْرَةَ حَرَكَاتِ
الْمُرُورِ فِيهِ ، تَسْتَدْعِي أَنْ يَكُونَ مَوْطِنًا لِلنَّجَاسَةِ .

(٣) الصَّلَاةُ فِي الْمَجْزَرَةِ : لِأَنَّهَا مَوْضِعٌ لِلدَّمَاءِ وَالْأَوْسَاحِ وَهِيَ نَجَسَةٌ كَذَلِكَ .

(١) رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَهَى أَنْ يُصَلَّى فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ : فِي الْمَرْبَلَةِ وَالْمَجْزَرَةِ
وَالْمَقْبَرَةِ إلخ . . .

(٤) الصلاة في الحمام : لأنه مَوْضِعُ إِزَالَةِ النَّجَاسَةِ والأوساخ .

(٥) الصلاة في المَزْبَلَةِ : لأنها موضع نجاسة .

(٦) الصلاة في مَعَاظِنِ الْإِبِلِ ؛ ومَعَاظِنُ الْإِبِلِ هِيَ الْمَوَاضِعُ الَّتِي تَبْرُكُ عَلَيْهَا بَعْدَ شُرْبِ الْمَاءِ .

(٧) الصلاة فَوْقَ الْكَعْبَةِ :

لأن المصلي فوق ظهر الكعبة ، يَفْقِدُ شَرْطًا هَامًّا مِنْ شُرُوطِ الصلاة ، ذَلِكَ هُوَ اسْتِقْبَالُهَا . وَإِذَا عَرَفْنَا أَنَّ هَذِهِ الْأَمْكِنَةَ الَّتِي نَهَى رَسُولُ اللَّهِ عَنْ الصلاة فِيهَا ، فَهِيَ الْأُزْمِنَةُ الَّتِي يَنْهَى عَنِ الصَّلَاةِ فِيهَا كَذَلِكَ ؟ ؟

وَالْإِجَابَةُ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ نَقُولُ : إِنَّ الْأُزْمِنَةَ الَّتِي نَهَى الرَّسُولُ فِيهَا عَنِ الصَّلَاةِ هِيَ :

(١) عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ حَتَّى تَرْتَفِعَ .

(٢) عِنْدَ غُرُوبِهَا حَتَّى تُصَلِّيَ الْمَغْرِبَ .

(٣) عِنْدَ خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ .

- (١) لماذا نُهي عن الصلاة في هذه الأوقات ؟
(٢) ما هي الصلاة التي نُهي عنها في هذه الأوقات ؟ أمي صلاةُ
التنفل أم صلاةُ الفرض ؟
(٣) ما حكمُ التنفلِ بعد صلاةِ العصر ؟

نشيد ديني

أيُّهَا الْبَيْتُ^(١)

أَيُّهَا	الْبَيْتُ	سَلَامًا	عُلُوِّي	النَّفَحَاتِ
تُرْبُكُ	الْمَيْمُونُ	قُدُسٌ	شَاهِقِي	الْحُرُمَاتِ
كُلُّ	مَنْ	مَرَّ	عَلَيْهِ	مَرَّ
مَرَّ	مَسْحُورَ	السَّمَاتِ	بِكَ	مِنْ
كُلِّ	الْجِهَاتِ	هَرَعَ ^(٢)	النَّاسُ	إِلَى
بَا	طَرَحُوا	الدُّنْيَا	وَخَفُّوا	بِقُلُوبِ
نَادِمَاتِ	حُسْرًا	يَمْشُونَ	لِلَّهِ	بِأَيْدِ
ضَارِعَاتِ				

(١) للشاعر محمود حسن إسماعيل .

(٢) هرع : قدم سرعاً .

وَصُدُورٍ حَانِيَّاتٍ^(١) مِنْ عَذَابِ الْمَعْصِيَّاتِ
وَقُلُوبٍ جَارَتْ^(٢) أَسَدَ رَارُهَا بِالتَّلْبِيَّاتِ
وَجُفُونٍ مِنْ ضِيَاءِ اللَّهِ هِ دَارَتْ مُسْبَلَاتٍ^(٣)
وَنُفُوسٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ
ذَائِبَاتٍ فِي رَحِيقِ الدُّ وَرِ نَشْوَى^(٤) فَانِيَّاتٍ

* * *

سَيِّدَ الدُّنْيَا شَفِيعَ الْحَقِّ ، سِرِّ الرَّحْمَاتِ
رَبُّ بَارِكْنَا بِهِ . . آصَالْنَا وَالْغُدُواتِ
وَابْعَثِ الشَّرْقَ بِنُورٍ مِنْ هِ يَغْزُو الظُّلُمَاتِ

(١) حانيات : مشفقات .

(٢) جارت : رفعت صوتها .

(٣) مسبلات : مغمضات .

(٤) نشوى : فرحة مسرورة .

الدرس الحادى عشر

صَلَاةُ السَّفَرِ

اعتنى الإسلام بشأن الصلاة ، لأنها صلة بين العبد وربه ولأن مراقبة المسلم ربه ، وشعوره بجلاله وعظمته ، مما يغرس في نفسه حب الخير والفضيلة . ومع هذه العناية بشأنها والاهتمام بأمرها ، لم يجعل الله على المسلمين حرجاً في أدائها ، ولا كلفهم بما يشق عليهم في فرضها ، بل رفع عنهم الحرج والإثم ، فقد سهّل على المريض كما عرفنا — أن يؤدّيها كما يستطيع قائماً أو قاعداً أو إيماءً ، وتلك غاية اليسر ، ونهاية التسهيل . ومن يسر الإسلام أن شرّع للمسافر تخفيف الصلاة ، ونقصان ركعاتها ، مراعاة لما يعانیه من مشقة الأسفار ، وعناء الارتحال .

مشرّوعية صلاة السفر :

شرّعت صلاة السفر في السنة الرابعة من الهجرة ، وقد سنّها الرسول عملاً وقولاً ، وكذلك داوم عليها الصحابة من بعده ، كما جاء في سورة النساء قول الله تعالى : « وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ^(١) » .

وقال عبد الله بن عمر : صحّبت رسول الله (ص) فكان لا يزيد في السفر

(١) سورة النساء

على ركعتين في الصلاة الرباعية . وقال النبي عليه السلام : « إنَّ خيار أُمَّتى من إذا سافروا قَصَرُوا الصلاةَ » .

مسافةُ القصر :

المسافة التي يَقْصُرُ الْمُصَلِّي فيها صلاته ، ينبغي أن لا تَقِلَّ عن واحدٍ وثمانين كيلومتراً كالمسافة بين محطة الخرطوم ومحطة الترابي — من قرَى الجزيرة . إذا قَطَعَ المسافر هذه المسافة بوسيلةٍ سريعة كالطائرة والسَّيَّارة والقطار ، أو بطيئة كالدَّواب .

السَّفر الذي تَقْصُرُ فيه الصلاة :

أن يكون سفرًا شَرْعِيًّا ، يَقْصُدُ فيه المسافر قضاءَ مهمَّةٍ من ضرُوراتِ الحياة لا لِسُرْقَةٍ ، ولا لِقَطْعِ طريقٍ . . . مثلاً . . .

الصلوات التي تُقْصَرُ :

الصلواتُ الرباعية ، هي التي يَقْصُرُها المُسافر .

فَيُصَلِّي الظُّهرَ ركعتين .

وَيُصَلِّي العصرَ ركعتين .

وَيُصَلِّي العِشاءَ ركعتين .

أما صلاةُ الصُّبحِ وصلاةُ المغرب فتبقيانِ على حالِهما .

مَتَى يَنْتَهَى أَمَدُ الْقَصْرِ ؟

وَتَنْتَهَى عَمَلِيَّةُ قَصْرِ الصَّلَاةِ حِينَ يَرْجِعُ الْمَسَافِرُ إِلَى بَلَدِهِ ، أَوْ يَنْوِي
إِقَامَةَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ^(١) فَكَثُرَ فِي غَيْرِ بَلَدِهِ ، وَعَلَيْهِ أَنْ يُتِمَّ الصَّلَاةَ حِينَئِذٍ .

حُكْمُ قَصْرِ الصَّلَاةِ :

سُنةٌ مُؤَكَّدَةٌ . فَعَلَى الْمَسَافِرِ أَنْ يَرْغَى هَذِهِ السُّنَّةَ وَأَنْ يُحَافِظَ عَلَيْهَا ،
فَهِيَ صَدَقَةٌ تَفْضِلُ اللَّهُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ ، فَلْيَتَقَبَّلُوا صَدَقَتَهُ .

لِلْمَنَاقِشَةِ :

(١) قُتِّمَ مَعَ زَمَلَانِكَ فِي رَحَلَةٍ مَدْرَسِيَّةٍ قَضَيْتُمْ فِيهَا مَا يَزِيدُ عَلَى مَسَافَةِ

الْقَصْرِ . فَمَا حُكْمُ قَصْرِ الصَّلَاةِ فِي هَذِهِ الرَّحَلَةِ ؟

(٢) سَافَرْتَ مِنَ الْخَرْطُومِ فِي تَمَامِ الْعَاشِرَةِ صَبَاحًا وَوَصَلْتَ الْأَبْيَضَ عِنْدَ

الثَّانِيَةِ ظُهْرًا . فَكَيْفَ تَصَلِّي الظُّهْرَ ؟

(١) أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ : يَصَلِّي فِيهَا عَشْرِينَ صَلَاةً .

نَشِيدٌ عَرَبِيٌّ نَحْنُ إِخْوَةٌ

من قصيدة « تونس المجاهدة » للشاعر المصري الأستاذ محمد الأسمر

حَيُّ فِي تُونُسَ شَعْبًا عَرَبِيًّا	هَبْ إغْصَارًا عَلَى الْبَاغِي عَتِيًّا
يَا «بَنِي الْعَرَبِ» كَفَى خَتْلًا ^(١) كَفَى	لَمْ يَعُدْ أَمْرُكُمْ سِرًّا خَفِيًّا
كَمْ وَعُودٍ لَكُمْ مَمْطُولَةٌ ^(٢)	أَيْسَرُ كَانَ مَعَ النَّاسِ وَفِيًّا ؟ !
إِنَّمَا أَنْتُمْ جَمِيعًا دَوْلٌ	تَحْكُمُ الْعَالَمَ حُكْمًا « قَيْصَرِيًّا »
لَيْسَ فِيكُمْ مَن يَرَانَا أَمَمًا	كُلُّكُمْ يَطْلُبُنَا أَكْلًا شَهِيًّا
أَكْذَا الْإِنْجِيلُ قَدْ عَلَّمَكُمْ ؟ ؟	أَكْذَا مَا قُلْتُمْ عَنْهُ رُقِيًّا
نَحْنُ فِي الدُّنْيَا جَمِيعًا إِخْوَةٌ	فَاغْرِسُوا فِيهَا الْوَدَادَ الْأَخَوِيًّا
وَأَقِيمُوا الْعَدْلَ فِي أَرْجَائِهَا ^(٣)	يَعِشِ الْكُلُّ بِهَا عَيْشًا هَنِيًّا

* * *

• مجلة « المسلمون » .

(١) ختلا : خداعاً وكذباً .

(٢) ممطولة : مؤخرة .

(٣) أرجائها : أنحائها .

قال عمرُ بنُ الخطابِ لِكُتَّابِهِ وعُمَّالِهِ :

« إِنَّ الْقُوَّةَ عَلَى الْعَمَلِ أَلَّا تُؤَخَّرُوا عَمَلَ الْيَوْمِ إِلَى الْغَدِ ، فَإِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ تَكَاثَرَتْ عَلَيْكُمْ الْأَعْمَالُ ، فَلَا تَذَرُونَ بَأْيَهَا تَبْدَأُونَ وَلَا بَأْيَهَا تَأْخِذُونَ . »

(الطبري)

وَصِيَّة

قال رسول الله (ص) :

أوصاني رَبِّي بِتَسْمَعِ :

الإِخْلَاصُ فِي السِّرِّ وَالْعِلَانِيَةِ .

وَالْعَدْلُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَى .

وَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى .

وَأَنْ أَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي ، وَأَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي ، وَأُعْطِيَ مَنْ حَرَمَنِي ،

وَأَنْ يَكُونَ نُطْقِي ذِكْرًا ، وَصَمِّي فِكْرًا ، وَنَظْرِي عِبْرَةً .

(٤)

شخصيات إسلامية

١ - حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ

إِسْلَامُ حَمْزَةَ :

عَادَ حَمْزَةُ مِنْ قَنْصِهِ مُتَوَشِّحًا قَوْسَهُ ، وَمِنْ عَادَتِهِ أَنَّهُ إِذَا رَجَعَ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى أَهْلِهِ حَتَّى يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ ، وَيَتَحَدَّثَ وَيَتَذَكَّرَ مَعَ مَنْ يَجِدُهُمْ فِيهَا ، وَبَيْنَمَا هُوَ مُتَوَجِّهٌُ نَحْوَ الْكَعْبَةِ ، اقْتَرَبَتْ مِنْهُ مَوْلَاةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ ، وَقَالَتْ : « وَاذِلَّاهُ يَا بَنِي عَبْدِ مُنَافٍ ، يَا أَبَا عِمَارَةَ ! لَوْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ ابْنُ أَخِيكَ مُحَمَّدٌ مِنْ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ ، وَجَدَهُ هَهُنَا جَالِسًا فَأَذَاهُ وَسَبَّهُ ، وَبَلَغَ مَا يَكْرَهُ » .

وَهُنَا أُرْدَادَ الْغَضَبُ بِحَمْزَةَ ، مَاذَا فَعَلَ مُحَمَّدٌ حَتَّى يَبْلُغَ كُلَّ هَذَا ؟ ثُمَّ أَخَذَ طَرِيقَهُ لَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ مُعِدًّا لِأَبِي جَهْلٍ إِذَا لَقِيَهِ أَنْ يُوقِعَ بِهِ فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ نَظَرَ إِلَيْهِ جَالِسًا فِي الْقَوْمِ ، فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ حَتَّى إِذَا قَامَ عَلَى رَأْسِهِ ، رَفَعَ الْقَوْسَ ، وَضَرَبَهُ بِهَا ضَرْبَةً شَجَّتْ رَأْسَهُ شَجَّةً مُنْكَرَةً ، ثُمَّ صَاحَ فِيهِ : « أَتَشْتُمُهُ ؟ ! ! فَأَنَا عَلَى دِينِهِ أَقُولُ مَا يَقُولُ ، فَرُدَّ عَلَىَّ إِنْ أُسْتَطَعْتَ » ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمْخَزُومٍ إِلَى حَمْزَةَ لِيَنْصُرُوا أَبَا جَهْلٍ ، وَهُنَا وَقَفَ حَمْزَةُ مَوْقِفَ الضَّرْغَامِ الْأَبِيِّ مُسْتَعِدًّا

لِلْقِتَالِ ، فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ وَقَالَ : دَعُوا أَبَا عِمَارَةَ ، فَإِنِّي — وَاللَّهِ — لَقَدْ سَبَبْتُ
ابْنَ أَخِيهِ سَبًّا قَبِيحًا .

هِجْرَةُ حَمْزَةَ :

هَاجَرَ حَمْزَةُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ تَارِكًا تِلْكَ الْمَجَالِسَ الَّتِي قَضَى
فِيهَا أَيَّامَ شَبَابِهِ ، وَتِلْكَ الْأَوْدِيَةَ الَّتِي عَاشَ فِيهَا لَاهِيًا مُتَنَعِمًا ، وَنَزَلَ
فِي الْمَدِينَةِ فَقِيرًا لَا يَمْلِكُ شَيْئًا سِوَى إِيْمَانِهِ وَهُوَ لَدَيْهِ الْحَيَاةُ كُلُّهَا وَمَا بَعْدَ
الْحَيَاةِ ، وَلَمَّا آخَى رَسُولُ اللَّهِ (ص) بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ حَمْزَةُ وَزَيْدُ
ابْنِ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) أَخَوَيْنِ ، وَلَقَدْ رَضِيَ السَّيِّدُ الْقُرَشِيُّ
بِهَذَا الْإِخَاءِ ، كَيْفَ لَا ، وَالْإِسْلَامُ قَدْ مَحَا الْفُرُوقَ بَيْنَ الْأَجْنَاسِ
وَالْقَبَائِلِ ، لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى : « إِنْ أَكْرَمَكُمْ
عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَقَاكُمْ » ؛ وَأَقَامَ حَمْزَةُ فِي الْمَدِينَةِ حَتَّى أَذِنَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ
فِي الْقِتَالِ .

حَمْزَةُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ ^(١) :

بَدَأَتِ الْحَرْبُ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ بِالْمُبَارَزَةِ كَعَادَةِ الْعَرَبِ فِي بَدَايَةِ
حُرُوسِهِمْ ، وَنَادَى مُنَادِي قُرَيْشٍ : « يَا مُحَمَّدُ نُرِيدُ أَكْفَاءًا مِنْ قَوْمِنَا » .
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) : « قُمْ يَا عُبَيْدَةُ — قُمْ يَا حَمْزَةُ — قُمْ يَا عَلِيٌّ .
وَصَاحَ عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَأَجَابَهُ حَمْزَةُ : أَنَا حَمْزَةُ أَسَدُ اللَّهِ

(١) كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ .

وَأَسَدُ رَسُولِهِ ، فَتَبَارَزُوا فَقَتَلَ حَمْزَةُ وَصَاحِبَاهُ الْمُشْرِكِينَ ، ثُمَّ تَزَا حَفَّ
الْجَمْعَانِ وَنَارَ النَّقْعِ^(١) ، وَحَمْزَةُ يَفْتِكُ بِالْمُشْرِكِينَ فَتَكَ ذَرْبًا ، فَتَنَاهَا
الْكَتَائِبُ وَتَفَزَّعُ الْأَبْطَالُ ، فَيَخْتَلَطُ حَابِلُهُمْ بِنَابِلِهِمْ^(٢) ، وَيُؤْكَلُونَ
الْأَذْبَارَ .

عَوْدَةُ قُرَيْشٍ :

عَادَتْ قُرَيْشٌ مِنْ هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ الْحَامِيَةِ بِالْخِزْيِ وَالْعَارِ ، وَمُنَادِيهِمْ
يُنَادِي : « لَقَدْ أَذَلَّ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلِبِ شَرَفَكُمْ وَوَضَعَ قَدْرَكُمْ
وَجَعَلَ كُمْ الْأَذَلَّةَ الْمُسْتَعْبِدِينَ فِي الْأَرْضِ ، مَاتَ بِيَدَيْهِ صَفْوَةُ رِجَالِكُمْ
وَأَصْحَابُ الصَّدَارَةِ فِي مُنْتَدِيَاتِكُمْ ، فَيَا لَثَارَاتِ قُرَيْشٍ ! وَيَا لَأَحْقَادِهَا
الْكَاِمَةِ !!! » .

غَزْوَةُ أُحُدٍ « فِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ » :

سَارَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى بَلَغَ أُحُدًا ، وَأُجْتَازَ مَسَالِكُهُ ، وَجَعَلَهُ
عَلَى ظَهْرِهِ وَهُنَاكَ شَرَعَ الرَّسُولُ (ص) يُنْفِذُ خُطَّةَ الْهُجُومِ ، وَيُنَظِّمُ
الْجَيْشَ ، فَأَوْقَفَ الرُّمَاهُ وَهُمْ خَمْسُونَ عَلَى طَرِيقِ الْجَبَلِ ، وَقَالَ
لَأَمِيرِهِمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ : « انْصَحِ الْخَيْلَ عَنَّا بِالنَّبْلِ ، لَا يَأْتُونَا

(١) النَّقْعُ : الْغَبَارُ .

(٢) اخْتِلَاطُ الْحَابِلِ بِالنَّابِلِ تَعْبِيرٌ يَقْصِدُ مِنْهُ الْارْتِبَاكُ وَالْاِشْتِبَاكُ .

مِنْ خَلْفِنَا ، إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا ، فَانْبُتْ مَكَانَكَ لَا تُؤْتِينَ
مِنْ قِبَلِكَ .

جَيْشُ قُرَيْشٍ :

نَظَّمَتْ قُرَيْشٌ صُفُوفَهَا عَلَى حَسَبِ خُطَّتِهِمْ ، وَجَعَلَتْ نِسَاؤُهُمْ يَمْشِينَ
خِلَالَ الصُّفُوفِ يَضْرِبْنَ الدُّفُوفَ وَالطُّبُولَ وَهُنَّ يَقُلْنَ :
إِنْ تَقْبِلُوا نُعَانِقُ وَنَفْرُشِ النَّمَارِقِ
أَوْ تَذْبِرُوا نَفَارِقُ فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقِ

وَأَسْتَعَدَّ الْفَرِيقَانِ لِلْقِتَالِ ، وَكُلٌّ يُحَرِّضُ رِجَالَهُ ، فَأَمَّا قُرَيْشٌ
فَتَذَكَّرُوا بَذَرًا وَقَتْلَاهَا ، وَأَمَّا الْمُسْلِمُونَ فَيَذْكُرُونَ اللَّهَ وَنَصْرَهُ .

حَمْزَةُ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ :

وَلَمَّا بَدَأَتِ الْمَعْرَكَةُ صَاحَ حَمْزَةُ صَيِّحَةَ الْقِتَالِ يَوْمَ أُحُدٍ وَهِيَ :
« أَمِتْ . . . أَمِتْ » ، وَأَنْدَفَعَ إِلَى قَلْبِ جَيْشِ الْكُفَّارِ يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ
يَمْنَةً وَيَسْرَةً ، لَقَدْ كَانَ حَقًّا الْبَطْلَ الشَّجَاعَ ، كَمَا كَانَ فِي غَزْوَةِ بَذَرٍ ؛
وَقَدْ تَغَلَّبَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ، وَلَكِنَّ انْشِغَالَ الْمُسْلِمِينَ
بِالْفَنَاءِ وَتَرْكَ الرُّمَاهِ أَمَّا كُنْهُمْ مَهَّدَا الطَّرِيقَ لِلْهُجُومِ عَلَيْهِمْ بِقِيَادَةِ خَالِدِ
ابْنِ الْوَلِيدِ ؛ فَأَجْلَوْا الرُّمَاهُ ، وَشَرَعُوا فِي جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ ضَرْبًا وَقِتْلًا ،
وَصَاحَ صَانِحٌ بِالنَّاسِ : إِنْ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ، فَازْدَادَتْ الْفَوْضَى وَضَعْفَتْ

العزائمُ واندفع الكفارُ إلى النَّاحِيَةِ التي كانَ فيها الرَّسولُ (ص) ،
وهناك أحاطَ المسلمونَ برسولِهِم وقائِدِهِم يُدافعون عنه ، ويحمونه ، وقد
كانَ من المدافعين السيدة نُسَيْبَةُ بنتُ كَعْبٍ ، التي عرفتَ جِهادها
وبلاءها في السنة الرابعة الأولى .

مَصْرَعُ الْأَسَدِ :

كانَ الْجَبْرِ بنُ مُطْعِمٍ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ فَأَغْرَاهُ بِقَتْلِ حَمْزَةَ تَشْفِيًا وَاتِّقَامًا ،
ووعده إن فعل ذلك بالعِثْق . وهما هُوَ ذا وَحْشِيٌّ يُحَدِّثُ عن قصة اغتياله
لَحَمْزَةَ فيقول : « خَرَجْتُ معَ الناسِ ، وَكُنْتُ رَجُلًا حَبَشِيًّا أَقْذِفُ
بالْحَرْبَةِ قَذْفَ الْحَبْشَةِ قَلَمًا أَخْطِيُ بِهَا شَيْئًا ، فلما التَقَى الناسُ خَرَجْتُ
أَنْظُرُ حَمْزَةَ ، وَأَتَبَصَّرُهُ حَتَّى رَأَيْتُهُ فِي عَرْضِ النَّاسِ مِثْلَ الْجَمَلِ الْأَوْزُقِ ^(١)
يَهْدُ ^(٢) النَّاسَ بِسَيْفِهِ هَذَا ، فَهَزَزْتُ حُرْبَتِي حَتَّى إِذَا رَضِيتُ عَنْهَا دَفَعْتُهَا
عَلَيْهِ فَوَقَعَتْ فِي ثَنَّتِهِ ^(٣) حَتَّى خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ رَجُلَيْهِ ، وَتَرَكْتُهُ وَإِيَّاهَا
حَتَّى مَاتَ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُ حُرْبَتِي وَرَجَعْتُ إِلَى الْمُعَسْكَرِ ، وَقَعْدْتُ
فِيهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي بَغَيْرُهُ حَاجَةٌ ، وَإِنَّمَا قَتَلْتُهُ لِأُعْتَقَ ، فَلَمَّا قَدِمْتُ مَكَّةَ
أُعْتَقْتُ » .

(١) الْجَمَلُ الْأَوْزُقُ : الْجَمَلُ الْأَبْيَضُ .

(٢) يَهْدُ النَّاسَ : يَقْتُلُ النَّاسَ .

(٣) ثَنَّتُهُ : مَا بَيْنَ السَّرَةِ وَالْعَانَةِ . وَهِيَ حَنْدَلَانِي السُّودَانِ « الثَّنَّة » بِكَسْرِ التَّاءِ .

حَمْزَةُ فِي الْقَتْلِ :

انصرفت قريشٌ بعد أن دَفَنْتْ قَتْلَاهَا ، وعاد المسلمون إلى الميدان
لِدْفِنِ قَتْلَاهُمْ ، ولما رأى الرسولُ (ص) عَمَهُ حمزة قد يُقَرِّ بطنُهُ ، ومُثِّلَ
به حزين من أجله أشدَّ الحزنِ ، وقال : « لن أصاب بمثلِكَ أبداً ،
ما وقفتُ موقفاً أغَیظَ إلى من هذا » ، ثم قال : « واللهِ لئن أظهرنا اللهُ
عليهم يوماً من الدهر لنمُثِّلَنَّ بهم مُثْلَةً لم يُمِثِّلْهَا أَحَدٌ من العرب » .
وفي هذا نَزَل قول الله تعالى : « وإن عاقبْتُمْ فعاقبُوا بِمِثْلِ ما عُوْقِبْتُمْ
به ، ولئن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ واصْبِرْ وما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ،
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ، وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ . إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ » . فعفا رسولُ الله (ص) وصبرَ ونهى
عن المُثْلَةِ . وهذا كعبُ بنُ مالكٍ يَبْكِي حمزةَ رضى اللهُ عنه :

قَرَمٌ نَمَكَنَّ فِي ذُوَابَةِ هَاشِمٍ حَيْثُ النُّبُوَّةُ وَالنَّدَى وَالسُّودَدُ^(١)

وَالْعَاقِرِ الْكُومِ الْجَلَادِ إِذَا غَدَتِ رِيحٌ يَكَادُ الْمَاءُ مِنْهَا يَجْمَدُ^(٢)

وَالتَّارِكُ الْقِرْنَ الْكَمِيَّ مُجْدَلًا يَوْمَ الْكُرْبَةِ وَالْقَنَا يَتَقَصَّدُ^(٣)

شرح الكلمات في أبيات كعب بن مالك

- (١) قَرْمٌ : سَيْدٌ . ذُوَابَةٌ : أَصْلٌ .
(٢) الكُومَ الجَلَادَ : النِّيَاقَ الضَّخْمَةَ القَوِيَّةَ ، المَفْرَدُ « كَوْماء » .
(٣) القرنُ الكُمى : الفتى الشُّجاعُ . مُجَدَّلًا : مَضْرُوعًا عَلَى الأَرْضِ .
يَتَقَصَّدُ : يَتَكَسَّرُ .

بهذا الجِهَادِ المتواصلِ انْطَوَتْ تِلْكَ الصَّفْحَةُ النَّاصِعَةُ مِنْ حَيَاةِ سَيِّدِ
الشُّهَدَاءِ حمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .
أَجِبْ عَمَّا يَأْتِي :

في أبيات كعب صفتان يحسنُ أن تتَخَلَّقَ بهما فما هما ؟

٢ - أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ

حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ وَابْنُ حَبِّهِ

حَجَّةُ الْوَدَاعِ :

في الخامس والعشرين من ذى القعدة من السنة العاشرة للهجرة سار النبي (ص) وعددٌ غفيرٌ من أصحابه ، قاصدين البيت الحرام ليؤدّوا فريضة الحج ، وأما تمت حجة الوداع ، وأنّ لعشرات الألوف ممن صحبوا النبي (ص) أن يعودوا إلى ديارهم ، فأنجد منهم أهل نجد ، وأنهم أهل تهامة ، وانحدر إلى الجنوب أهل اليمن وحضرموت وما جاورها ، وسار النبي (ص) وأصحابه إلى المدينة ، ولم يطل بهم المقام بعد عودهم حتى أمر الرسول (ص) بتجهيز جيش جرارٍ إلى غزو الشام ، واختار له المهاجرين الأولين ، ومنهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وأمر على هذا الجيش أسامة بن زيد بن حارثة ، وكان شاباً لم يتجاوز العشرين من عمره ، وفي ذلك ما يبعث في نفوس الشباب القوة ، ويدربهم على القيام بالأعباء الجسيمة ، وقد كان أسامة مثال الشجاعة والإقدام منذ نشأته حتى انضم إلى جيش المسلمين في طريقهم إلى أحد ، ولكنه أعيد إلى المدينة قبل بداية المعركة ليصغر سنّه ، ثم إنه أبلى بعد ذلك في غزوة حنين أنبل البلاء وثبت فيها ثبات الأبطال الصناديد ؛ وأمر الرسول (ص) أسامة

أَنْ يُوْطِئَ الْخَيْلَ تَحُومَ الْبُلْقَاءِ مِنْ أَرْضِ فَلَسْطِينَ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ
مُؤْتَةِ ، حَيْثُ قُتِلَ أَبُوهُ — شَرَعَ الْقَائِدُ الشَّابَّ وَجِيشُهُ يَتَجَهَّزُونَ لِلزَّحْفِ
عَلَى أَرْضِ فَلَسْطِينَ ، وَإِنَّهُمْ لَفِي أَسْتَعْدَادِهِمْ إِذْ مَرَضَ الرَّسُولُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَالَ مَرَضُهُ دُونَ مَسِيرِهِمْ ، ثُمَّ مَوْتُهُ ، وَلَمْ يَكْدِ الْمَسْلُومُونَ
يَفْرُغُونَ مِنْ دَفْنِ الرَّسُولِ (ص) حَتَّى أَمَرَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ الْخَلِيفَةُ الْأَوَّلُ
أَنْ يَذْهَبَ جَيْشُ أُسَامَةَ لِلْغَزْوِ تَنْفِيذًا لِأَمْرِ الرَّسُولِ (ص) ، وَلَمَّا تَحَرَّكَ
الْجَيْشُ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مَاشِيًّا لَتَوْدِيعِهِ وَأُسَامَةُ رَاكِبٌ عَلَى صَهْوَةٍ جَوَادَةٍ .
فَقَالَ أُسَامَةُ : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ لَتَرْكَبَنَّ أَوْ لَا نَزِلَنَّ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا نَزَلَتْ
وَلَا أَرْكَبُ ، وَمَا عَلَيَّ أَنْ أُغَيَّرَ قَدَمَيَّ سَاعَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ ! وَبَلَغَ مِنْ
إِكْبَارِ أَبِي بَكْرٍ لِلْقَائِدِ أَنْ قَالَ لَهُ : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُعِينَنِي بَعْمَرَ فَاَفْعَلْ .

وَلَمْ تَمْضِ عَشْرُونَ يَوْمًا عَلَى مَسِيرَةِ الْجَيْشِ حَتَّى أَغَارَ عَلَى الْبُلْقَاءِ ، وَحَتَّى
انْتَقَمَ الْقَائِدُ ابْنُ الْقَائِدِ لِلْمُسْلِمِينَ وَلَأَبِيهِ الَّذِي قُتِلَ بِمُؤْتَةِ ، وَكَانَتْ
صَبِيحَةُ الْحَرْبِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الْمَشْرِقَةِ : « يَا مَنْصُورُ أَمِتْ » ؛ وَكَذَلِكَ نَفَّذَ
أَبُو بَكْرٍ وَنَفَّذَ أُسَامَةُ أَمْرَ النَّبِيِّ (ص) وَعَادَ بِالْجَيْشِ إِلَى الْمَدِينَةِ مَمْتَطِيًا الْجَوَادَ
الَّذِي قُتِلَ أَبُوهُ بِمُؤْتَةِ عَلَيْهِ ، يَتَقَدَّمُهُ اللَّوَاهُ الَّذِي عَقَدَهُ لَهُ الرَّسُولُ (ص)
بِيَدِهِ ، فَتَلَقَّاهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ كِبَارِ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ لِلِقَائِهِ وَكُلُّهُمْ فَرِحٌ مُتَهَلِّلٌ ، وَدَخَلَ أُسَامَةُ الْمَدِينَةَ تُحِيطُ بِهِ هَالَةٌ مِنْ
نَخَارِ النَّصْرِ ، فَقَصَدَ مِنْ فَوْرِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ حَيْثُ صَلَّى شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى
مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ .

قيادة أسامة :

أبو بكر : إلى أيها المسلمون ! إلى أيها المسلمون ! بشراكم أيها الناس ،
بشراكم أيها الناس . الإسلام ، الإسلام ! لقد أتم الله لجنودنا
النصر المبين في حرب المرتدين ، ولم يعد الآن في جزيرة العرب
من لا يقول : « لا إله إلا الله » . والآن اسمعوا أيها الناس ،
علمتم أن بني غسان كانوا قد قتلوا رسول النبي إليهم ، وعلمتم
أن النبي (ص) كان قد أعد جيشاً يحربهم ولكنه مات
قبل أن يرسل الجيش ، فهل نقبع في ديارنا ونترك ثأرنا ؟

الجميع : لا ، لا .

أبو بكر : أيها الناس لقد أمرنا الله بالجهاد فهل أنتم مستعدون .

الجميع : نعم مستعدون ، نعم مستعدون ، نعم مستعدون .

أبو بكر : بارك الله فيكم يا جنود الرحمن ، وهأنذا قد كوّنت الجيش ،
وجعلت على رأسه أسامة ، وغداً إن شاء الله سيسير على
بركة الله .

رجل : يا خليفة رسول الله ، والله لو أمرتنا أن ننزل البحر في سبيل
الله لنزلنا ، ولكن كيف ترسل هذا الجيش وهو كل ما نملك ؟

أبو بكر : والله لا بُدَّ أن أنفذ مشيئة النبي وأن أرسل هذا الجيش ،

ويفعلُ اللهُ بعد ذلك ما يشاء .

رجُلٌ آخرُ : وماذا تفعلُ لو هاجمك المشركون ؟

أبو بكر : والذي نفسى بيده لو اجتمعت الذئابُ والسباعُ لَنَا كلنى ، وكنتُ أعلمُ أن هذا الجيشَ يَحْمِينِي لما رَجَعْتُ عن عَزِيمَتِي ، وَلَنَقُذْتُ مشيئةَ النبىِّ .

الجميعُ : نحنُ جنودُكَ يا خليفةَ رسولِ اللهِ .

أبو بكر : حَسَنًا حَسَنًا ، وغداً إن شاء اللهُ سيسيرُ الجيشُ على بركةِ اللهِ ، واللهُ المستعانُ ، والآنَ أينَ أسامةُ .

أسامة : لَبَّيْكَ يا خليفةَ رسولِ اللهِ .

أبو بكر : أأَعَدَدْتَ للجيشِ عُدَّتَهُ .

أسامةُ : أَجَلُ يا خليفةَ رسولِ اللهِ .

أبو بكر : وجنودُكَ ، مارأيتَ فيهم ؟

أسامة : كلُّ واحدٍ منهم يَعْدِلُ عشرةً من الكفارِ بإذنِ اللهِ .

أبو بكر : وروحُهم يا أسامةُ .

أسامة : عاليةٌ جدًّا ، وليسَ أَحَبُّ إلى أَحَدِهِمْ إلَّا أن يَنَالَ النَصْرَ

أو يموتَ فى سبيلِهِ .

أبو بكر : أينَ عمر بن الخطاب ؟

أسامة : إِنَّهُ بينَ الجنودِ يحملُ عُدَّتَهُ ويستعدُّ للحربِ ، أتريدُ رؤيته ؟

أبو بكر : إلى رجاله عندك يا أسامة .

أسامة : بل أمر تأمره يا خليفة رسول الله .

أبو بكر : إنك تعلم يا أسامة أن عمرَ وزيرِي ، أَسْتَشِيرُهُ في أمورِ المسلمين ولا غناءَ لي عنه وأريدُ أن يكون بجانبِي في المدينة فإن رأيتَ أن أَعِينَنِي به فافْعَلْ .

أسامة : أمرك يا خليفة رسول الله .

أبو بكر : لا يابن أخِي ، إنك قائدُ جيوشِ المسلمين وليس لنا أن نفعلَ شيئاً إلاَّ بأمرِك .

أسامة : يا عمرُ يا عمرُ ؟

عمر : في خِدْمَتِكَ أيُّها القائدُ العظيمُ .

أسامة : ارجع يا عمرُ مع خليفة رسول الله إلى المدينة فإنه في حاجةٍ إلى رأيك ومشورتك .

عمرُ : وأحرمُ من الجهاد في سبيلِ الله ؟

أبو بكر : سَنَجَاهِدُ بِرَأْيِكَ يا عمرُ ، والجهادُ بالرأيِ قد يكونُ أعظمَ من الجهاد بالسيف .

عمر : وهذا السيفُ يا أبا بكرٍ أَعْمَدُهُ بعد أن امتَشَقْتُهُ ، لقد وهبتَ نَفْسِي يا أبا بكرٍ للإسلام فلا تحرمني من نعمة لقاء ربِّي شهيداً .
يا أبا بكرٍ إنَّكَ لتَعْلَمُ أنَّي مُشْتاقٌ لِلْمُلَاقَاةِ رَبِّي . ولا تحرمني أُمِّي

أبو بكر : إِنَّ حُسْنَ رَأْيِكَ أَحَدُ مِنْ سَيِّفِكَ ، نَعَالَ مَعِيَ فَقَدْ كَتَبَ
اللَّهُ لَكَ ثَوَابَكَ كَامِلًا .

عمر : يَا رَبِّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِسِرِّي وَجَهْرِي ، وَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْعَمَلِ عَلَى نُصْرَةِ دِينِكَ أَوْ الْمَوْتِ فِي سَبِيلِهِ
وَلَكِنِّي نَازِلٌ عَلَى أَمْرِكَ بِإِطَاعَةٍ أَدُلِّي الْأَمْرَ فِينَا : (يُشِيرُ
إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَيَبْكِي) .

أبو بكر : لَا تَبْكِ يَا عُمَرُ فَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ ثَوَابَكَ !!

عمر : أَخْشَى يَا أَبَا بَكْرٍ أَنْ أَمُوتَ عَلَى سَرِيرِي كَمَا يَمُوتُ الْجَبَنَاءُ ،
أُرِيدُ أَنْ أَمْحُو ذُنُوبِي بِسَيْفِي .

أبو بكر : لَقَدْ سَحَتِ دُمُوعُكَ ذُنُوبَكَ ، يَا عُمَرُ إِنَّهَا دُمُوعُ التَّقْوَى ،
وَإِنَّ دَمْعَةً وَاحِدَةً مِنْهَا يَا عُمَرُ تَكْفِيكَ أَمْتِشَاقَ السَّيْفِ .

عمر : وَاللَّهِ مَا أَعْتَدْتُ أَنْ أَبْكِيَ إِلَّا خَوْفًا مِنَ اللَّهِ .

أبو بكر : يَا جُنُودَ الرَّحْمَنِ ! إِلَيْكُمْ وَصِيَّتِي قَبْلَ أَنْ تَرَحَّلُوا . لَا تَخُونُوا
وَلَا تَغْدِرُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا طِفْلًا ، وَلَا شَيْخًا ، وَلَا امْرَأَةً ، وَلَا
تَعْمُرُوا نَخْلًا ، وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرَةً ، وَلَا تَذْبَحُوا شَاةً إِلَّا لِلْأَكْلِ ...
سِيرُوا عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ .

أسامة : أَيُّهَا الْجُنُودُ ، هَيَّا إِلَى الْمِيدَانِ ، إِلَى الْحَرْبِ ، إِلَى النُّصْرِ ،
أَوْ إِلَى الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ بِهَا الْمُتَّقِينَ .

الجميع : (يَنْشُدُونَ نَشِيدَ الْحَرْبِ)

نَشِيدُ الْحَرْبِ °

إِلَى الْجِهَادِ زَحَفْنَا أَسَدَ الْعُرُوبَةِ جَمَعْنَا
اللَّهُ حَقَّقَ نَصْرَنَا فَلْتَخْضَعَ الدُّنْيَا لَنَا

* * *

إِنَّا سَيُوفُ الْحَقِّ لَا نَرْضَى الْهَوَانَ لِشَعْبِنَا
رَغْمَ الْعَدُوِّ وَجَمْعِهِ خَضَعْتَ رِقَابُهُمْ لَنَا

* * *

إِنْ تَنْصُرُوا رَبَّ السَّمَاءِ يَنْصُرْكُمْوْ بَعْدَ الْعَنَاءِ
وَيُثَبِّتِ الْأَقْدَامَ طَوْ لَ بَلَائِنَا وَجِهَادِنَا

* * *

دِينُ الْإِلَهِ طَرِيقُنَا بُذِلَتْ لَهُ أَرْوَاحُنَا
نَحْوَ الْجَنَانِ تَسَابَقُوا تَلَقَّوْا بِهَا كُلَّ الْمُنَى

* * *

إِلَى الْجِهَادِ زَحَفْنَا أَسَدَ الْعُرُوبَةِ جَمَعْنَا
اللَّهُ حَقَّقَ نَصْرَنَا فَلْتَخْضَعَ الدُّنْيَا لَنَا

• من كتاب تمثيلات المسرح المدرسي بتصريف .

٣ - أَبُو دُجَانَةَ

صَاحِبُ الْعِصَابَةِ الْحَمْرَاءِ

لقد آمنَ فارسُ الخَزَرَجِ سِمَاكُ بْنُ خَرْشَةَ إِيْمَانِ الْأَقْوِيَاءِ ، فَجَعَلَهُ
رَسُولُ اللَّهِ (ص) فِي الصَّدَارَةِ مِنْ بَيْنِ الصَّحَابَةِ ، فَمَا أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ ،
وَلَا اسْتَوَلَى عَلَيْهِ الْغُرُورُ ، بَلْ كَانَ يَسِيرُ فِي إِطْرَاقَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَخُشُوعِ
الْمُتَّقِينَ .

أَبُو دُجَانَةَ الْمُجَاهِدُ :

كَانَ أَبُو دُجَانَةَ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ ، أَشْبَهَ مَا يَكُونُ بِالشُّعْلَةِ الْمُحْرِقَةِ
وَالصَّاعِقَةِ الْمُدْمِرَةِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) وَهُوَ بَيْنَ الصَّفُوفِ ،
وَفِي يَدِهِ سَيْفٌ : « مَنْ يَأْخُذْ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ ؟ فَنَقِمَ إِلَيْهِ رِجَالٌ
مِنْ أَهْلِ الْمَسْلَمِينَ فَأَمْسَكَهُ عَنْهُمْ ، حَتَّى قَامَ إِلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ فَقَالَ :
وَمَا حَقُّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قُلْ : أَنْ تَضْرِبَ بِهِ الْعَدُوَّ حَتَّى يَنْعَنِيَ ،
قَالَ : أَنَا آخِذُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِحَقِّهِ ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ » ، وَكَانَ أَبُو دُجَانَةَ
رَجُلًا شَجَاعًا ، دَوَّى اسْمُهُ فِي بَوَادِي الْعَرَبِ ، وَصَحَارِهَا ، وَكَانَتْ
لَهُ عِصَابَةٌ أَحْمَرَاءُ إِذَا اعْتَصَبَ بِهَا ، عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ سَيُقَاتِلُ ، وَقَالُوا :
إِنَّهُ أَخْرَجَ عِصَابَةَ الْمَوْتِ ، فَأَخَذَ السَّيْفَ وَأَخْرَجَ عِصَابَتَهُ ، وَعَصَبَ

بِهَا رَأْسُهُ ، وَجَعَلَ يَتَبَخَّرُ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ عَلَى عَادَتِهِ ، إِذِ تَحْتَلُّ عِنْدَ
الْحَرْبِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ الرَّسُولُ (ص) يَتَبَخَّرُ قَالَ : « إِنِّهَا لَمِشِيَّةٌ يُبَغِّضُهَا
اللَّهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطَنِ » . وَلَمَّا تَزَاخَفَ الْجَيْشَانِ ، وَتَصَافَحَتِ
السُّيُوفُ ، وَاشْتَجَرَتِ الرِّمَاحُ ، أَخَذَ أَبُو دُجَانَةَ يَتَرْتَّمُ :

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ
أَلَّا أَقُومَ الدَّهْرَ فِي الْكُبُولِ أَضْرِبُ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ

وَالْكُفَّارُ يَفِرُّونَ مِنْ حَوْلِهِ كَأَنَّهُمُ الْحُمُرُ الْمُسْتَنْفِرَةُ ، وَهُوَ يَضْرَعُ
أَبْطَالَ قُرَيْشٍ لَا يَلْقَى بَطْلًا إِلَّا جَنَدَلَهُ حَتَّى شَقَّ صُفُوفَهُمْ ، وَهَاهُوَذَا
يَتَحَدَّثُ فَيَقُولُ : « رَأَيْتُ إِنْسَانًا يَخْمَشُ النَّاسَ خَمَشًا شَدِيدًا فَصَدَّتْ
لَهُ ، فَلَمَّا حَمَلَتْ عَلَيْهِ السَّيْفَ ، وَلَوَّلَ فَإِذَا امْرَأَةٌ ، فَأَكْرَمْتُ سَيْفَ
رَسُولِ اللَّهِ (ص) أَنْ أَضْرِبَ بِهِ امْرَأَةً » .

أَبُو دُجَانَةَ وَالنَّبَالُ :

لَمَّا خَالَفَ الرَّمَاءُ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ وَأُنْزَلَتْ
قُرَيْشٌ بِالْمُسْلِمِينَ الْهَزِيمَةَ مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ ، وَانْسَحَبَ الْجَيْشُ كَانَ فِي
مُقَدِّمَةِ الثَّابِتِينَ مَعَ الرَّسُولِ (ص) أَبُو دُجَانَةَ ، فَإِذَا أَقْبَلَتْ كَتَابُ
الْكُفْرِ تَصَدَّى لَهَا هُوَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَيَقْضِيَانِ عَلَى الْكَثِيرِ
مِنْهَا ؛ ثُمَّ هَجَمَ الْكُفَّارُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) يَقْذِفُونَهُ
بِالنَّبَالِ ، وَهَذَا أَقْبَلَ أَبُو دُجَانَةَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ نَفْسَهُ تُرْسًا لَهُ ، وَالنَّبَالُ

تقع على ظهره وهو مُنَحَنٍ لايهتهم لوقعها ، ولا يألمُ لِفعلها ، كيف
وقد بايع الرسولَ (ص) على الموتِ ، وَوَهَبَ لَهُ نَفْسَهُ وَرُوحَهُ ،
صَانِحًا بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي خَلَّدَ التَّارِيخُ رَنِينَهَا فَطَرِبَ بِهِ الْجِيلُ بَعْدَ
الْجِيلِ : « نَفْسِي دُونَ نَفْسِكَ ، وَعَيْنِي دُونَ عَيْنِكَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ
غَيْرَ مُوَدَّعٍ » .

أَبُو دُجَانَةَ يُقَاتِلُ الْمُرْتَدِّينَ :

لَمَّا ارْتَدَّتْ الْعَرَبُ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ
بَنُو حَنِيفَةَ الَّذِينَ كَانُوا يَسْكُنُونَ الْيَمَامَةَ ، سَارَ إِلَيْهِمْ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ ،
فَدَارَتْ بَيْنَهُمْ رَحَى حَرْبٍ زَبُونٍ ^(١) قَضَتْ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُقَاتِلِينَ ؛
وَكَانَ أَبُو دُجَانَةَ فِي هَذَا الْعِرَاقِ يَصُولُ صَوْلَةَ الْأَسَدِ الضَّارِي ، مُتَذَكِّرًا
عُهُودَهُ الْخَوَالِي ، وَأَيَامَهُ الْمَوَاضِي الَّتِي لَمْ يَتَخَفْ فِيهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
(ص) فِي غَزْوَةٍ مِنَ الْغَزَوَاتِ ، فَأَبْلَى أَحْسَنَ الْبَلَاءِ وَصَنَادِيدُ بَنِي حَنِيفَةَ
يُهَاجِمُونَهُ كُتْلًا مُتْرَاصَةً ، فَيَنْكَلِبُ بِهِمْ أَشَدَّ التَّنْكِيلِ وَيُورِدُهُمْ حِيَاضَ
الْمَنِيَةِ ، وَهُمْ فَارُّونَ أَمَامَ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ الْمُظَفَّرِ .

أَبُو دُجَانَةَ الشَّهِيدُ :

وَلَمَّا رَأَى أَحَدُ بَنِي حَنِيفَةَ أَنَّ جَيْشَ الْمُسْلِمِينَ يَتَعَقَّبُ فَلَوَاهُمْ صَاحَ
بِهِمْ . « يَا بَنِي حَنِيفَةَ ! الْحَدِيقَةُ ! . . . وَكَانَتْ هَذِهِ الْحَدِيقَةُ لِمُسْلِمَةٍ

(١) حَرْبُ زَبُونٍ : حَرْبُ حَامِيَةِ الْوُطَيْسِ .

الكذابِ وهي فسيحة الأرجاء ، منيعةُ الجدرانِ كأنها الحصنُ ،
تحصنُ مسيلمةَ وقومهَ بها . أفيحاصرُهم جيشُ المسلمين وإن طالَ
حصارُهم ؟ كَلَّا ، إن هذا الجيشَ الباسِلَ يُريدُ النَّصرَ كاملاً ، ويُريدُهُ
سريعاً أيضاً ، لذلك ألقى المسلمونَ أبطالاً منهم داخلَ الحديقةِ ، وكانَ
في مُقدمَتِهِم أبو دُجَانَةَ ، فحاربَ حتى تمكنَ الجيشُ من الدُّخولِ في
الحديقةِ . وفي تلكَ المعركةِ الحاميةِ كُسِرَتُ قدمُهُ ، ولكنه لا يزالُ يُقاتلُ
وقد أصابتهُ جُرُوحٌ كثيرةٌ ، وفي تلكَ المعركةِ نفسها قُتِلَ صاحبُ
العصابةِ ، وفارسُ الخزرَجِ . ولكنْ بعدَ أن خَرَّ الألوفُ من بني
حنيفةَ صرعى في تلكَ الحديقةِ التي عُرِفَتْ فيما بعدُ بحديقةِ الموتِ ،
وكانتُ تُدعى حديقةَ الرَّحمنِ . قُتِلَ بعدَ أن رأى انتصارَ المسلمينَ على
أعدائِهِ . تلكَ كانتُ نهايةُ الفارسِ الذي دَوَّخَ الأبطالَ من جبابرةِ
الصَّحراءِ ، الفارسِ الذي كَتَبَ لَهُ التاريخُ في صحائفِهِ الباقيةِ خلوداً
لا ينتهى .

٤ - الزَّرْقَاءُ بِنْتُ عَدِيَّ الْكُوفِيَّةُ

كَانَتْ مِنْ رَبَّاتِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْعَقْلِ وَالرَّأْيِ . نَاصَرَتْ عَلَى
أَبْنِ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَ صِفِّينَ (مَوْضِعٌ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ مِنْ الْجَانِبِ
الْغَرْبِيِّ) . وَلَمَّا تَمَّ الْأَمْرُ لِمَعَاوِيَةَ ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ : « أَيُّكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَ
الزَّرْقَاءِ ؟ » ، فَقَالَ الْقَوْمُ : « كُلُّنَا نَحْفَظُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ » ، قَالَ : « فَمَا
تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِيهَا » : قَالُوا : « نُشِيرُ عَلَيْكَ بِقَتْلِهَا » ، قَالَ : « بِئْسَ
مَا أَشْرَئْتُمْ عَلَيَّ بِهِ ، أَيَحْسُنُ بِمِثْلِي أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي قَتَلْتُ امْرَأَةً
بَعْدَ مَا مَدَّ كِتَابُ وَصَارِ الْأَمْرِ لِي ؟ » ، ثُمَّ دَعَا كَاتِبَهُ فِي اللَّيْلِ فَكَتَبَ إِلَى
عَامِلِهِ فِي الْكُوفَةِ ، أَنْ « أَوْفِدَ إِلَى الزَّرْقَاءِ ابْنَةَ عَدِيٍّ ، مَعَ رِثْقَةٍ مِنْ
تَحْرِمِهَا ، وَجَمَاعَةٍ مِنْ فُرْسَانِ قَوْمِهَا ، وَمَهْدٍ لَهَا وَطَاءَ كَيْفًا ، وَاسْتَرْهَا
بِسِتْرِ حَصِيفٍ » .

قُدُومُ الزَّرْقَاءِ :

وَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ رَكِبَ الْعَامِلُ إِلَيْهَا ، فَأَقْرَأَهَا الْكِتَابَ ، فَقَالَتْ :
أَمَّا أَنَا فَغَيْرُ زَانِعَةٍ عَنْ طَاعَتِهِ ، وَإِنْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، جَعَلَ
الْمَشِيشَةَ إِلَيَّ فَإِنِّي لَأَنْبِيَةٌ مِنْ بَلَدِي هَذَا ، فَحَمَلَهَا فِي هَوْدَجٍ ، جَعَلَ
غِشَاءَهُ مُبْطِنًا بِعَصَبِ الْيَمَنِ ثُمَّ أَحْسَنَ صُحْبَتَهَا .

وَصُولُ الزَّرْقَاءِ :

ولَمَّا وَصَلَتِ الزَّرْقَاءُ إِلَى مُعَاوِيَةَ دَارَ بَيْنَهُمَا الْحَدِيثُ الْآتِي :

مُعَاوِيَةُ : مَرْحَبًا وَأَهْلًا ، خَيْرَ مَقْدِمٍ قَدِمَهُ وَافِدٌ ، كَيْفَ حَالُكَ يَا خَالَهٗ ؟
وَكَيْفَ رَأَيْتَ مَسِيرَكَ ؟

الزَّرْقَاءُ : خَيْرَ مَسِيرٍ كَأَنِّي كُنْتُ رَبِيبَةَ بَيْتٍ ، أَوْ طِفْلًا مُمَهَّدًا .

مُعَاوِيَةُ : بِذَلِكَ أَمَرْتُهُمْ ، فَهَلْ تَعْلَمِينَ لِمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ ؟

الزَّرْقَاءُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَنَّى لِي بِعِلْمِ مَا لَمْ أَعْلَمْ ، وَهَلْ يَعْلَمُ مَا فِي
الْقُلُوبِ إِلَّا اللَّهُ ؟ !

مُعَاوِيَةُ : بَعَثْتُ إِلَيْكَ أَنْ أَسْأَلَكَ ، أَلَسْتَ رَاكِبَةَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ يَوْمَ
صِفِّينَ ، بَيْنَ الصَّفِّينَ ، تُوقِدِينَ نَارَ الْحَرْبِ ، وَتَحْرُضِينَ عَلَى
الْقِتْلِ ، فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟

الزَّرْقَاءُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَدْ مَاتَ الرَّأْسُ ، وَبُتِرَ الذَّنْبُ ، وَالذَّهْرُ
فُوعِغِرَ ، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَجْزَرَ ، وَالْأَمْرُ يُحْدِثُ بَعْدَهُ الْأَمْرَ .

مُعَاوِيَةُ : صَدَقْتَ ! قَبْلَ تَحْنُطِينَ كَلَامَكَ يَوْمَ صِفِّينَ ؟

الزَّرْقَاءُ : مَا أَحْنَطُهُ .

مُعَاوِيَةُ : وَلَكِنِّي وَاللَّهِ أَحْنَطُهُ ، لَمْ أَتُوكِ ! لَقَدْ تَسَمَّيْتُكَ قَتُولِينَ :
إِنَّمَا النَّاسُ إِنْكُمْ فِي فَتْنَةٍ غَشَّتْكُمْ جَلَابِيبُ الظُّلَمِ ،

وَجَارَتْ بِكُمْ عَنِ الْمَحَجَّةِ ، فَيَا نَهَا مِنْ فِتْنَةِ عَمِيَاءِ صَمَاءَ ،
تَسْمَعُ لِنَاعِهَا وَلَا تُسَلِّسُ لِقَائِهَا ، إِنَّ الْمِصْبَاحَ لَا يُضِيءُ
فِي الشَّمْسِ ، وَإِنَّ الْكَوَاكِبَ لَا تُنِيرُ مَعَ الْقَمَرِ ،
أَلَا إِنَّ خِضَابَ النِّسَاءِ الْحِنَاءَ ، وَخِضَابَ الرِّجَالِ الدِّمَاءَ .
وَاللَّهِ يَا زَرْقَاهُ لَقَدْ شَرَكْتُ عَلَيْكَ فِي كُلِّ دَمٍ سَفَكُهُ .

الزَّرْقَاهُ : أَحْسَنَ اللَّهُ بِشَارَتِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَدَامَ سَلَامَتَكَ ،
مِثْلَكَ مَنْ بَشَرَ بِخَيْرٍ وَسَرَّ جَلِيسَهُ .

مُعَاوِيَةُ : أَوْ قَدْ مَرَّكَ ذَلِكَ ؟

الزَّرْقَاهُ : نَعَمْ وَاللَّهِ لَقَدْ سَرَّنِي قَوْلُكَ فَأَنَّى لِي بِتَصْدِيقِ الْفِعْلِ ؟
مُعَاوِيَةُ : وَاللَّهِ لَوْ فَاؤُكُمْ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُبِّكُمْ لَهُ
فِي حَيَاتِهِ ! أَذْكَرِي حَاجَتَكَ .

الزَّرْقَاهُ : إِنِّي قَدْ آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَمِيرًا أَعْنَتْ عَلَيْهِ
شَيْئًا أَبَدًا . وَمِثْلَكَ أُعْطِيَ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ ، وَجَادَ مِنْ
غَيْرِ طَلَبٍ .

مُعَاوِيَةُ : صَدَقْتَ .

وَأَحْسَنَ رَفَدَهَا وَرَدَّهَا وَالَّذِينَ مَعَهَا مُكْرَمِينَ ، وَكَتَبَ إِلَى
وَالِي السُّكُونَةِ بِالْوَصِيَّةِ بِهَا وَبِعَشِيرَتِهَا .

أَجِبْ عَمَّا يَأْتِي : (١) بِمَاذَا تَصِفُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ ؟

(٢) مَا رَأَيْكَ فِي رَدِّهَا عَلَى مُعَاوِيَةَ ؟

٥ - أمُّ زِيَادِ الْأَشْجَعِيَّةُ

غَازِيَةٌ غَزَتْ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ ، وَهِيَ سَادِسَةُ سِتِّ نِسْوَةٍ ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِنَّ فَقَالَ : يَا ذُنُورُ مَنْ خَرَجْتُنَّ ؟ فَقُلْنَ لَهُ : خَرَجْنَا وَمَعَنَا دَوَالُ نُدَاوَى بِهِ الْجَرَحَى ، وَنَنَاوِلُ السَّهَامِ ، وَنَسْقِي السَّوِيقَ ، وَنَنْزِلُ الشَّعْرَ ، وَنُعِينُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَقِمْنَ . فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ خَيْبَرَ قَسَمَ لَهُنَّ كَمَا قَسَمَ لِلرِّجَالِ .

أَجِبْ عَمَّا يَأْتِي :

(١) هَلْ تَرَى أَنَّ الْإِسْلَامَ أَمْرَ أُمِّ زِيَادٍ وَصَوَائِبِهَا بِالْجِهَادِ أَوْ أَنَّهُنَّ خَرَجْنَ مُتَطَوِّعَاتٍ ؟

(٢) وَمَا هُوَ رَأْيُ الْإِسْلَامِ فِي خُرُوجِ الْمَرَأَةِ لِلْجِهَادِ ؟

٦ - فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ

السيدة فاطمة « الزَّهْرَاءُ » صُغْرَى بناتِ الرَّسُولِ — عليه السلام —
والأخرياتُ هُنَّ : « زينبُ ، ورقية ، وأم كلثوم » .

وُلِدَتْ هذه السيدةُ الجليلةُ بمكة ، وكانتُ قُرَيْشُ تَبْنِي الكعبةَ ،
وعُمِرَ النَّبِيُّ إِذْ ذَاكَ خَمْسَ وَثَلَاثُونَ سَنَةً ، أَيْ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِ
الرَّسَالَةُ بِخَمْسِ سِنِينَ .

وكانتُ من أَحَبِّ النَّاسِ إِلَى أبيها ، يَحْنُو عَلَيْهَا ، وَيَعْطِفُ قَلْبُهُ
نَحْوَهَا ، مِمَّا جَعَلَهَا تُبَادِلُهُ هذه العاطفةُ ، وَلَا تَبْتَغِدُ مِنْهُ حَتَّى حِينَ كَانَ
يَخْرُجُ إِلَى مَجَالِسِ قُرَيْشٍ لِيُبَشِّرَ بِدَعْوَتِهِ ، وَيَأْتِيَ فِي سَبِيلِهَا مَا يَلْقَى
مِنْ كَيْدِ الْخُصُومِ وَأَذَى الشُّفْهَاءِ .

رَأَتْ ذاتَ مَرَّةٍ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ يَحْمِلُ سَلَى جَزُورٍ وَيَدْنُو بِهِ مِنْ
أبيها الَّذِي كَانَ سَاجِدًا فِي الْحَرَمِ يُبَاجِي رَبَّهُ ، وَظَلَّتْ فَاطِمَةُ تَرْقُبُهُ فِي
خَوْفٍ وَحَذَرٍ حَتَّى رَأَتْهُ يَقْذِفُهُ عَلَى ظَهْرِ أبيها ، وَحِينَ ذَاكَ أَسْرَعَتْ
فَأَبْعَدَتْهُ ، وَدَعَتْ عَلَيْهِ بِشَرِّ الدَّعَوَاتِ ، وَرَفَعَ النَّبِيُّ رَأْسَهُ قَائِلًا :

« اللَّهُمَّ عَلَيْكَ الْمَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ ! اللَّهُمَّ عَالِيكَ أبا جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ ،

وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَعَقْبَةُ ، بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَأَبُو
ابن خلف !!!

هَجْرَتُهَا :

عَاشَتْ فِي بَيْتِ أَبِي طَالِبٍ ، وَشَهِدَتْ بِعَيْنِهَا مَوْتَ أُمِّهَا « خَدِيجَةَ »
فَحَزِنَتْ عَلَيْهَا أَشَدَّ الْحُزَنِ ، وَكَانَ مِمَّا ضَاعَفَ حُزْنَهَا ، وَزَادَ فِي
أَلَمِهَا ، أَنَّهَا فَارَقَتْ أَبَاهَا الَّذِي تُحِبُّهُ ، وَتُؤَثِّرُهُ عَلَى نَفْسِهَا حِينَما هَاجَرَ
مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَاحَقَّ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ ابْنُ عَمِّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .
وَبَقِيَتْ فَاطِمَةُ وَأُخْتُهَا أُمُّ كُلْثُومٍ حَتَّى وَفَدَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ أَيْبِهِمَا ، فَصَحَّجَهُمَا
إِلَى يَثْرِبَ ، وَأَغْلَقَتْ دَارُ النَّبِيِّ بِمَكَّةَ ، غَيْرَ أَنَّ رِخْلَةَ بِنْتُ النَّبِيِّ إِلَى حَيْثُ
يُقِيمُ أَبُوهُمَا لَمْ تَمُرَّ بِسَلَامٍ ، فَمَا كَادَتْ الرَّاحِلَةُ تُنْفَصِلُ بِهِمَا مِنْ مَكَّةَ مُسْتَقْبِلَةً
طَرِيقَ الشَّامِ ، حَتَّى طَارَدَهُمَا اللَّثَامُ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ ، وَتَقَدَّمَ « الْحَوَيْرِثُ »
ابْنُ نَقِيدٍ « نَحْوَ رَا حِلْتَهُمَا فَضْرَبَ الْبَعِيرَ بِسَوْطِهِ حَتَّى أَجْفَلَ ، وَأَلْقَى بِهِمَا إِلَى
الْأَرْضِ ، وَكَانَتْ فَاطِمَةُ يَوْمَئِذٍ ضَعِيفَةً الْجِسْمِ ، فَتَابَعَتْ رِحْلَتَهَا بِمَشَقَّةٍ مِنْ أَثَرِ
الْوَقْعَةِ عَلَى الْأَرْضِ ، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَقَصَّتْ عَلَى أَبِيهَا مَا حَدَّثَ .
وَلَمْ يَنْسَ الرَّسُولُ شَخْصِيَةَ هَذَا الْمُشْرِكِ يَوْمَ الْفَتْحِ الْأَكْبَرِ — فَأَوْصَى
بِقَتْلِهِ مَعَ مَنْ أَوْصَى . وَكَانَ عَلِيٌّ — زَوْجُ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ — هُوَ الَّذِي
نَفَّذَ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ .

زَواجُها :

هاجرت « فاطمة بنت محمد » إلى المدينة ، فاستقرت في جوار أبيها هائلة النفس ، ناعمة البال ، وأكثر ما زاد سُرورها وفرحتها أنها أحست بأن أباهما في أعزّ موضع ، وأقدس مكان من رجاله وكانت فاطمة إذ ذاك قد قاربت عامها الثامن عشر

ودخل ذات يوم علي بن أبي طالب على رسول الله وجلس إلى جواره بعد أن حيّاه بتحيةة الإسلام . . .

وسأل النبي : ما حاجة ابن أبي طالب ؟؟

فأجاب علي — وهو يعض طرفه : ذكرت فاطمة بنت رسول الله .. قال الرسول : « مُبْتَسِماً » وقد عرف غرضه . . مَرَحَباً ! وأهلاً ! وأقبل علي من الغد ، وأقبل أبو الزّهراء يسأله عمّا عنده ، ويذكر من حديثه أن لا شيء معه سوى درعه الذي أصابه في غنائم بدر ، ويتقدّم عثمان بن عفّان لشراء الدرع بأربعمائة وسبعين درهماً ، ويُرسِلُ « بلالاً » ليشتري طيباً وعطراً ، ثم يدفع الباقي إلى « أمّ سلمة » لتقوم هي كذلك بشراء جهاز العروس .

وبهذه الصورة البسيطة تمت الخطبة ، ودُعِيَ الأصحاب ، فأشهدهم الرسول أنه زوج ابنته فاطمة من علي بن أبي طالب على أربعمائة مِثقال من

الفِضة على كتابِ الله وسُنَّةِ رَسُوْلِهِ . وتمَّ عقدُ الزَّواجِ في شهرِ رجبٍ من السنة الأولى للهجرة . ولما أَهَلَ الحَرَمَ من السنة الثانية استأجَرَ الزَّوْجُ مَنْزِلًا خاصًّا لِيَسْتَقْبِلَ فِيهِ عَرُوسَهُ الزَّهْرَاءَ ، واحتفلَ بنو عبدِ المَطْلَبِ بهذا الزَّواجِ الكَرِيمِ ، ونَحَرَ حَمَزَةَ الْجَزُورِ ، وَأَطْعَمَ أَهْلَ المَدِينَةِ . ودعا الرِّسُولُ « أُمَّ سَلَمَةَ » لِيَتَمَضَّى بِالْعُرُوسِ إِلَى بَيْتِ الزَّوْجِيَةِ .

ومَشَى الرِّسُولُ إِلَى مَنْزِلِ العَرُوسَيْنِ بَعْدَ أَنْ أَدَّى صَلَاةَ العِشَاءِ مَعَ أَصْحَابِهِ ، ودعا بِماءٍ فقرأَ عَلَيْهِ بَعْضَ آيِ الذِّكْرِ الحَكِيمِ ، ثم أمرَ العَرُوسَيْنِ أَنْ يَشْرَبَا مِنْهُ ، وتوضَّأَ بِالْبَاقِي عَلَى رَأْسَيْهِمَا ، وهَمَّ بِالْإِصْرَافِ وَهُوَ يَدْعُو لَهَا : « اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِمَا ، وَبَارِكْ عَلَيْهِمَا ، وَبَارِكْ لَهَا فِي نَسْلِهَا ! وبَكَتْ فَاطِمَةُ ، وَلَكِنْ أَبَاهَا تَهَلُّ بِرُزْهَةٍ ، وَهَمَسَ فِي أُذُنِهَا قَائِلًا : أَيْ بُنَيَّتِي ! لَقَدْ تَرَكْتُكَ وَدِيعَةً عِنْدَ أَقْوَى النَّاسِ إِيمَانًا وَأَكْثَرِهِمْ عِلْمًا ، وَأَفْضَلِهِمْ أَخْلَاقًا ، وَأَعْلَامَ نَفْسًا . . .

واستجابَ اللهُ دَعَاءَ نَبِيِّهِ ، فَقَدْ وَلَدَتْ بِنْتِهِ فَاطِمَةُ الحَسَنَ والحُسَيْنَ ، وَانْحَصَرَتْ بِذَلِكَ ذُرِّيَّةُ النَّبِيِّ فِيهِمَا . . .

مَوْقِفُ مُرَوَّعٍ :

وَشَكَكَ النَّبِيُّ مِنْ مَرَضِهِ الَّذِي أَلَمَّ بِهِ فِي لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ فِي السَّنَةِ العَاشِرَةِ مِنَ الهِجْرَةِ ، وَلَمْ تَكَدْ الزَّهْرَاءُ تَسْمَعُ نَبَأَهُ حَتَّى خَفَّتْ إِلَى لِقَاءِ أَبِيهَا ، وَجَلَسَتْ إِلَى جِوَارِهِ ، وَأَسَرَّ إِلَيْهَا أَنَّهُ قَدْ

حَانَ أَنْ يَلْحَقَ بِرَبِّهِ ، فَبَكَتْ وَتَأَلَّمَتْ ، وَأَسْرَّ إِلَيْهَا ثَانِيَةً ، بِأَنَّهَا
أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ لِحُوقًا بِهِ ، فَسَرَّتْ وَضَحِيكَتْ ، وَعَجِبَتْ السَّيِّدَةُ
عَائِشَةُ مِنْ هَذَيْنِ الْمَوْقِفَيْنِ ، وَلَكِنَّ السَّرَّ ظَلَّ دَفِينًا فِي نَفْسِ الزَّهْرَاءِ
حَتَّى بَاحَتْ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ بِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ .

وَعَاوَدَ النَّبِيَّ أُمُّهُ ، وَزَارَتْهُ ابْنَتُهُ ، وَسَمِعَتْهُ يَقُولُ : وَاكْرِبَاهُ ! !
فَخَنَقَتْهَا الْعَبْرَةُ وَرَدَّتْ : وَاكْرِبِي لِكَرْبِكَ يَا أَبْتَاهُ !
فَرَدَّ عَلَيْهَا : لَا كَرْبَ عَلَى أُمِّكَ بَعْدَ الْيَوْمِ .

وَلَحِقَ مُحَمَّدٌ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى ، وَبَكَتُهُ الزَّهْرَاءُ ، وَسَعَتْ إِلَى الْقَبْرِ
تَشْمُ تُرَابَهُ ، وَتَقُولُ مُتَفَجِّمَةً :

مَاذَا عَلَى مَنْ شَمَّ تُرْبَةَ أَحَدٍ إِلَّا يَشَمَّ مَدَى الزَّمَانِ غَوَالِيَا ؟
صُبَّتْ عَلَى مَصَائِبٍ لَوْ أَنَّهَا صُبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ عُذُنَ لَيْلِيَا !
وَلَزِمَتْ الزَّهْرَاءُ بَيْتَهَا ، وَلَمْ يَبْقَ لَهَا مِنَ الرَّجَاءِ إِلَّا أَنْ تَلْحَقَ
بِأُيُّهَا كَمَا بَشَّرَهَا بِذَلِكَ .

« وَفِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الثَّانِي مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ مِنْ
الْهَجْرَةِ عَانَقَتْ بَيْتَهَا^(١) ، وَمَلَأَتْ عَيْنَيْهَا مِنْهُمْ ، ثُمَّ دَعَتْ إِلَيْهَا أُمَّ
رَافِعٍ مَوْلَاةَ أَبِيهَا قَائِلَةً : يَا أُمَّهُ ، اسْكُبِي لِي غُسْلًا !

(١) وَلَدَتْ الزَّهْرَاءُ وَلَدَهَا الْحُسَيْنَ فِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ ، وَوُلِدَتْ بَعْدَهُ الْحُسَيْنُ فِي السَّنَةِ

الرَّابِعَةِ ، كَمَا وَلَدَتْ بَنَاتَيْنِ سَمَّاهُمَا الرُّسُولَ زَيْنَبَ وَأُمَّ كَلْثُومَ أَحْيَاهَا لَأَسْمَ خَالَاتِهِمَا .

وَاغْتَسَلْتُ ، وَارْتَدَّتْ ثِيَابًا جُدُودًا ، ثُمَّ طَلَبْتُ أَنْ يَكُونَ فِرَاشُهَا
فِي وَسْطِ الْبَيْتِ ، وَاضْطَجَعَتْ مُسْتَقْبِلَةً الْقِبْلَةَ ، وَتَهَيَّأَتْ لِلِقَاءِ رَبِّهَا وَلِقَاءِ
أُمِّيهِ الْحَبِيبِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) وَرَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا .

وَمِنْ رِثَائِهَا لِأُمِّيهِ قَوْلُهَا :

اغْبَرْتُ آفَاقُ السَّمَاءِ وَكُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ ، وَأَظْلَمَ الْعَصْرَانِ
فَالْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَثِيمَةٌ أَسْمًا عَلَيْهِ كَثِيرَةٌ الرَّجَفَانِ
فَلَيْبِكَ شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا وَلَتَبِكَ مُضَرٌّ وَكُلُّ يَمَانِ
يَا خَاتَمَ الرُّسُلِ الْمُبَارِكِ ضَوْؤُهُ صَلَّى عَلَيْكَ مُنْزَلُ الْقُرْآنِ

المناقشة : قَارَنَ بَيْنَ :

(١) خُطْبَةُ الزَّوَّاجِ عِنْدَنَا فِي السُّودَانِ ،

(٢) وَخُطْبَةُ هَذِهِ السَّيِّدَةِ الْجَلِيلَةِ وَعَقْدِ زَوَّاجِهَا الَّذِي تَمَّ فِي عَهْدِ الرَّسُولِ .

(١) « بنات النبي » للدكتورة بنت الشاطيء ، « أعلام النساء » لعمر رضا .

٧ - قِصَّةُ مُهَاجِرٍ

لَمْ تَسْتَطِعْ قُرْبُشَ كُلِّهَا أَنْ تَنَالَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِمَكَاتِهِ عِنْدَهُمْ وَلِحِمَايَةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَرَجَالِ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ
لَهُ . وَلَكِنَّ مُحَمَّدًا يَضِيقُ ذَرْعًا بِمَا يَشَاهِدُهُ مِنْ ضُرُوبِ الْأَذَى
وَصُنُوفِ التَّقْتِيلِ وَالتَّعْذِيبِ الَّتِي تَلْحَقُ أَصْحَابَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . وَيَفْكُرُ
وَيُطِيلُ التَّفَكِيرَ ، ثُمَّ يُشِيرُ عَلَى هَذِهِ الْفِئَةِ الْمُؤْمِنَةِ أَنْ تَفِرَّ بِدِينِهَا إِلَى
اللَّهِ وَيَسْأَلُهُ أَصْحَابُهُ : إِلَى أَيْنَ نُهَاجِرُ ؟ فَيُجِيبُهُمْ : « لَوْ خَرَجْتُمْ
إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، فَإِنَّ بِهَا مِلْكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ ، وَهِيَ أَرْضُ
صِدْقٍ ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ » .

وَتَمَّ لِأَصْحَابِهِ مَا أَرَادُوا . وَكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ هِجْرَةٍ فِي الْإِسْلَامِ ،
خَرَجَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، أَمْثَالُ : عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ ، وَزَوْجِهِ
رُقَيْيَةَ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .
وَمِنْهُمْ أَبُو سَلَمَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيُّ الَّذِي سَنَسُوقُ لَكَ
خَبَرَ هِجْرَتِهِ الثَّانِيَةِ .

أَبُو سَلَمَةَ وَزَوْجُهُ :

كَانَ أَبُو سَلَمَةَ وَزَوْجُهُ « أُمُّ سَلَمَةَ » ، قَدْ هَاجَرَا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ
مَعَ أَوَّلِ فَرِيقِ نَزْحِ إِلَيْهَا ، وَكَانَ عَدْدُهُمْ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا وَأَرْبَعَ

نِسْوَة ، وَلَمَّا تَرَامَى إِلَيْهِمْ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ فِي مَكَّةَ أَصْبَحُوا بِمَأْمِنٍ مِنْ
تَعْذِيبِ قُرَيْشٍ لَهُمْ ، تَأَقَّتْ نَفُوسُهُمْ لِلْعُودَةِ إِلَى أَرْضِ الْوَطَنِ الْحَبِيبِ ،
وَعَادَ الزَّوْجَانِ مَعَ مَنْ عَادَ إِلَى مَكَّةَ ، بَعْدَ أَنْ أَضْنَاهُمَا الْحَزِينُ شَوْقًا
إِلَى لِقَاءِ الرَّسُولِ ، وَبَرَّحَتْ بِهِمَا ذِكْرِيَاتُ أَرْضِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ،
وَاسْتَهْوَتْهُمَا هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي يَتَنَاقَلُ النَّاسُ خَبَرَهَا عَلَى كُلِّ لِسَانٍ .
وَلَكِنْ خَابَ ظَنُّهُمَا حِينَمَا دَخَلَا مَكَّةَ ، وَعَادَ ذَلِكَ الْأَمَلُ
الْمُشْرِقُ حَسْرَةً وَنَدَمًا ، حِينَمَا عَلِمَا أَنَّ الْقَوْمَ مَازَالُوا سَادِرِينَ فِي
غَوَايِبِهِمْ ، يُعَذِّبُونَ كُلَّ مَنْ دَخَلَ فِي هَذَا الدِّينِ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ
مُحَمَّدٌ . . . وَفَكَرَ أَبُو سَلَمَةَ فِي الْعُودَةِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، بَلَدِ
النَّجَاشِيِّ الَّذِي أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ ، وَأَكْرَمَ وَفَادَتْهُمْ . وَلَكِنْ تَفَكَّرَ سُرْعَانَ
مَا يَتَغَيَّرُ ، لِأَنَّهُ سَمِعَ هَمَسًا : وَأَحْسَنَ نِعْمَةٍ جَدِيدَةٍ أَحْيَتْ فِي نَفْسِهِ
الْأَمَلَ ، وَجَدَّدَتْ الْعَزْمَ عَلَى الْفِرَارِ إِلَى أَرْضٍ هِيَ جُزْءٌ مِنْ مَوْطِنِهِ
الْأَوَّلِ ، صَارَ لِلرَّسُولِ فِيهَا رِجَالٌ عَمِرَتْ قُلُوبُهُمْ بِالْإِيمَانِ ، وَسَمَتْ
نَفُوسُهُمْ عَنْ ضَلَالَاتِ الْهَوَى وَالشَّيْطَانِ . . . هِيَ يَثْرِبُ . . . « الْمَدِينَةُ » .
وَأَسْرَعَ أَبُو سَلَمَةَ يَجْمَعُ أَطْرَافَهُ ، وَيَسْتَشِيرُ رَسُولَهُ الْعَظِيمَ ، فَيُشِيرُ
عَلَيْهِ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا لِلْمُؤْمِنِينَ إِخْوَانًا . وَيُعِدُّ
أَبُو سَلَمَةَ رَاحِلَتَهُ وَزَادَهُ وَمَاءَهُ وَيَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ فِي غَبَشِ الظَّلَامِ ،
وَهُوَ يَقْتَادُ بَعِيرَهُ وَبَيْنَ جَوَانِحِهِ شَوْقٌ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَفِي رُفْقَتِهِ زَوْجُهُ
الْحَبِيبَةُ إِلَى نَفْسِهِ تَحْمِلُ طِفْلَهَا الصَّغِيرَ « سَلَمَةَ » . . .

امتحان عسير :

وإشاه الله أن يُمتحن أبو سلمة في إيمانه وصبره ، وأن يُبتلى بفراق زوجته وطفله . . . حيناً وثب عليه رجالٌ من قوم أم سلمة بعد أن أوشك أن ينقطع عنه خبر مكة ، ويغيب عن عينيه مرآها الجميل ، ويوغل في هذه الصحراء المترامية الأطراف . وتقدم الرجال نحوه يطلبون إليه أن يدع صاحبهم حرصاً عليها أن تبقى في ديار أهلها ، وخوفاً مما يصيبها من عناء السفر ومشقة الاغتراب ، وينهض رجالٌ من قوم أبي سلمة يطالبون باختضان ابنهم « سلمة » ، ذلك الطفل الصغير ، الذي أخذ يصرخ ويبكى ، فيذيب الصخر بكائه ، ويفتت الكباد بصراخه ، والفريقان يتناوبان التهم ويتبادلان المناقشات ، من غير أن يشوبوا إلى رشدٍم فيزحموا قلب الأم !!

ووقع ما قدره الله وقضاه ، ولا راداً لقضائه !

فقد ضرب الفراق بين أفراد هذه الأسرة بسهمه ، ومضى أبو سلمة لشأنه ، ولم يلبس قلبه ، ولم تتصدع قوة عزمه ، وخرج وحده فاراً بدينه ، لا يلوى على شيء فإيمانه بالله أحب إليه من الزوج والولد .

عودة ولقاء :

وكتب لهذه الأسرة المؤمنة أن يلتقي أفرادها ، بعد عام كامل قضته « أم سلمة » باكيةً متعجبة ، وقد جرى لها بابنها الذي لم يُطق

أَهْلُهُ مِنْ أَبِيهِ اسْتَبْقَاهُ بَعِيداً عَنْ أُمِّهِ ، وَعَادَتْ بِهِ « أُمُّ سَلَمَةَ » إِلَى
الْمَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ مَلَءَ أَهْلُهَا بَكَاءَهَا ، وَضَاقُوا ذَرْعاً بِحَيْنِهَا الْمُتَّصِلِ إِلَى
زَوْجِهَا الْحَبِيبِ . وَهَنَّتْ أَيَّامَ هَنَاءَةٍ بِلِقَاءِ زَوْجِهَا الْمُؤْمِنِ ، بَعْدَ هَذِهِ
الْفَتْرَةِ الطَّوِيلَةِ . . .